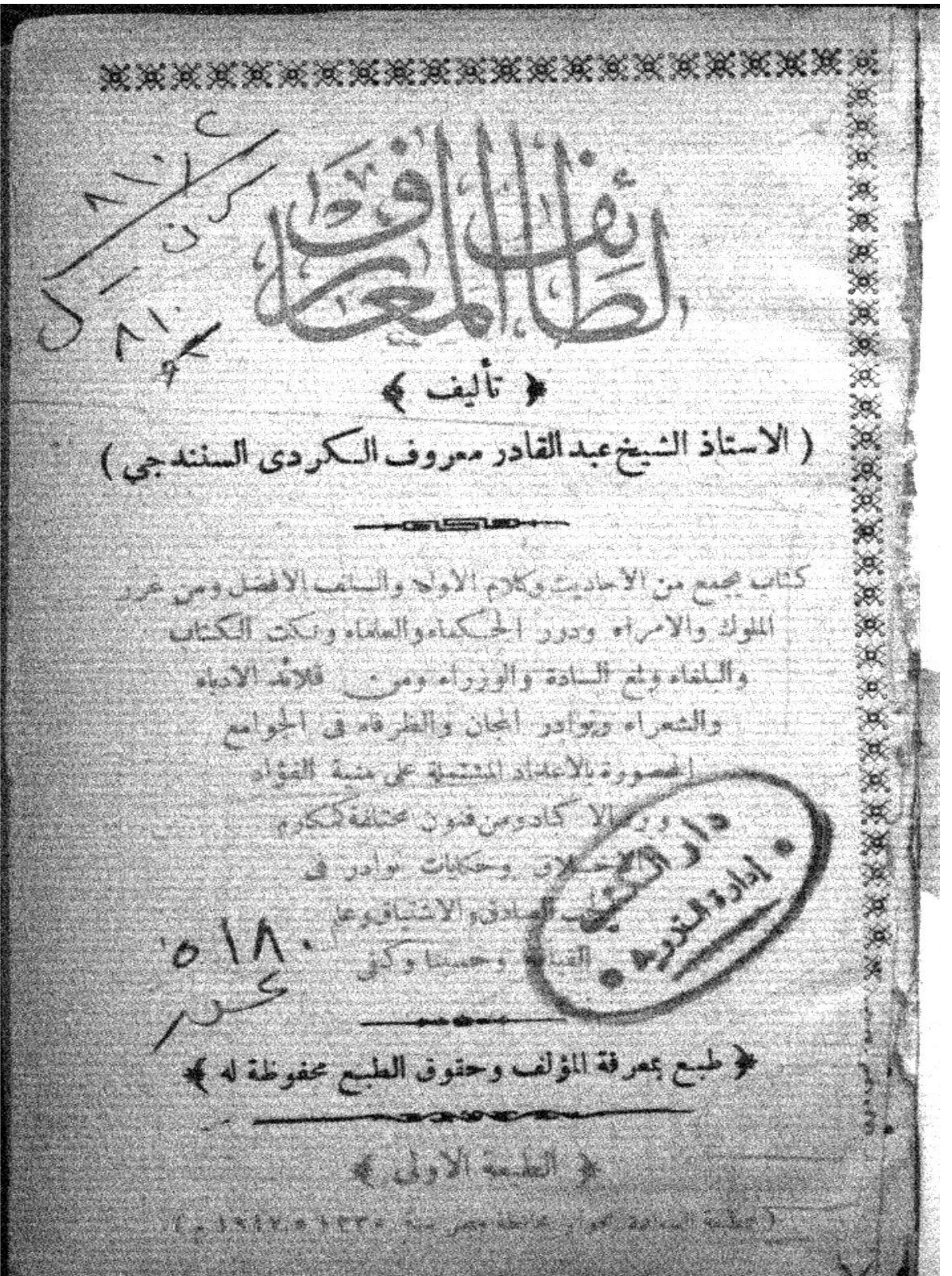


لطائف المعارف

﴿ تأليف ﴾

(الأستاذ الشيخ عبد القادر معروف الكردي السنندجي)

كتاب يجمع من الأحاديث وكلام الأولياء والسلف الأفضل ومن غرر
الملوك والأمراء ودرر الحكماء والعلماء ونكت الكتاب
والبلغاء وملح السادة والوزراء ومن قلائد الأدباء
والشعراء ونوادر المجان والظرفاء في الجوامع
المصورة بالأعداد المشتملة على منية الفؤاد
[illegible] لا يكاد من فنون مختلفة كمكارم
[illegible] الأخلاق وحكايات نوادر في
[illegible] الصادق والاشتياق وعلى
القناعة وحسنها وكذا

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٣٠ ه‍ ١٩١٢ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم وتأييدك

أما بعد حمد الله عز اسمه على آلائه . والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله . فانى أردت أن أخدم من أريد بكتاب خاصى عامى وملوكي سوقى (عمومى) وإسلامى جاهلى (ماقبل الاسلام) يجمع من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الأول والسلف الأفضل . ومن غرر الملوك والأمراء . وملح السادة والوزراء ودرر الحكماء والعلماء . ونكت الكتاب والبلغاء . ومن قلائد الادباء والشعراء . ونوادر المجان والظرفاء . ومن البدائع التى لاتوجد فى الكتب لحداثتها وغرابتها . وجدتها وغضاضتها . ومن ظرائف المحاسن ولطائف المعارف فى الجوامع المحصورة بالاعداد . المشتملة على منية الفؤاد وبرد الاكباد . ومن فنون مختلفة ومعان مؤتلفة ما تتكاثر عوائده وتتناثر فوائده والى الله جل ذكره أرغب بالنية الصالحة والعقيدة الخالصة فى أن تعم بركات هذا الكتاب الملقب (لطائف المعارف) بمقدار مافيه من الحروف . على الناس بأضعاف الألوف . وأن تلحظنى عين رعايته وهو اللطيف الرؤف

الباب الاول في عدد الاثنين

فصل فى الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من عدد الاثنين

(شيئآن) لايعرف قدرهما الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (خصلتان) لاثمن لهما العلم والعمل الصالح (خلقان) يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة (شيئآن) لايجتمعان الايمان والحسد (صنفان) من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء (شيئآن) لايفترقان الحرص والتعب (خلقان) يبغضهما الله ورسوله البخل وسوء الخلق (اثنان) لايجتمعان فى بيت الغنى والزنا (ركعتان) فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها .

فصل فيما يروى من عدد الاثنين عن العلماء والفقهاء

(سعد بن المسيب) قال له بعض أصدقائه أوصنى بوصية مختصرة مجملة فقال صن نفسك من عار العاجلة ونار الآجلة واعمل ماشئت (الحسن البصرى) قال أعوزنى شيئآن درهم من حلال وأخ فى الله (وقال فرقد السنجى) اذا اجتمع فى الطعام شيئآن اثنان كونه من حلال وكثرة الايدى عليه فرحبا وأهلا به (جعفر الصادق) من سعادة المرء سعة داره ونظافة متوضاه وكان يقول الكذب مذموم الا فى أمرين دفع شر الظالم واصلاح ذات البين (ابن شبرمة) كلمتان لم ير على التجربة أصح منهما كل حريص مذموم وكل حاسد مغموم (مالك بن أنس) شيئآن اذا حفظتهما لم تبال

ماضيعت بعدهما درهمك لماشك ودينك لمادك (قال الشافعي) العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان (أبو العيناء) العلم ما أطفأت به الحريق وأنقذت به الغريق يعنى الطب وعلم الكلام وعنى بالحريق نار العليل وبالغريق الذى غرق في الشكوك وتحير فى الآراء والمذاهب .

﴿ فصل فى عدد الاثنين من كلام الحكماء ﴾

قال نعمان لابنه يابنى اتق البحر اذا مدّ والملك اذا احتد (سهل بن هرون) شيئآن تذهب عندهما العقول المباشرة والمسابقة (عقيل بن علفة أحد حكماء العرب) قيل له من خلفت على نسائك قال الحافظين العرى فلا يبرحن والجوع فلا يمرحن .

﴿ فصل فى نكت أعداد الملوك والامراء والسادة ﴾

قال العباس بن محمد للرشيد يا أمير المؤمنين انما هو درهمك وسيفك فازرع بذاك من شكرك واحصد بهذا من كفرك فقال لست أجد للخلافة غير هذين

لم أر شيئاً صادقاً نفعه * المرء كالدرهم والسيف

يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

(على بن خديع الكرمانى) لايكمل الملك حتى تجتمع له المهابة والمحبة وقلما تجتمعان (عبد الواحد بن هشام بن عبد الملك) قيل له من ذا الذى أذهب ملككم قال شيئآن اثنان قيل وما هما قال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار وقيل لآخر من بنى أمية مثل ذلك فقال نوم الغدوات وشرب العشيات

نوم الغداة وشرب بالعشيات * موكلان بهدم المروآت

(قال مالك بن أسما بن خارجة) شيئان لايعرف كنههما الا من بلى بهما السفر الشاسع والبناء الواسع (أبو على بن عبد الله البلعمى) سمعت أبا جعفر الموسوى العلوى يقول أنا أقدم على كل شئ الا على شيئين استئصال النعم وهتك الحرم (أبو العباس بن مأمون) الدولة شيئان اثنان حسن الاتفاق وكثرة التوفيق .

﴿ فصل في أعداد نكت الاطباء ﴾

(محمد بن الرازى الطبيب) الطب شيئان حفظ الصحة ومرمة العلة (ثابت بن قره) ليس أضرّ بالشيخ من شيئين أحدهما أن يكون له طباخ حاذق والآخر أن تكون له جارية حسناء لانه يستكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم ويقول (مؤلف الكتاب) ومن حفظ الصحة ترك الاكل على السكر وترك التمع فى الحمام

﴿ فصل مجمل فى الفنون المختلفة من عدد الاثنين ﴾

(شيئان) العجلة فيهما محمود اطعام الضيف اذا حلّ وقضاء الدين عند الاجل (اثنان) يهون عليهما كل شئ الحكيم الزاهد والجاهل الذى لايدرى ماهو فيه (خصلتان) فيهما خير الدنيا والآخرة الغنى والتقى (اثنان) أعيت الحيلة فيهما اقبال الامر اذا أدبر وادباره اذا أقبل (خصلتان) يحبهما العاقل ويكرههما الجاهل الصبر عند النوائب والعفو عند المقدرة (اثنان ظالمان

يأخذان غير حقهما) رجل وسع له فى مجلس ضيق فتربع وانتفخ ورجل أهديت له نصيحة فجعلها ذنبا .

﴿ فصل فى الاشعار الثنائية ﴾

اثنان لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الاحباب

آخر

شيئان لو ان ليثا يبتلى بهما ... فى غابة مات من هم ومن نكد
فقد الشباب الذى ما ان له عوض ... والبعد بالرغم عن أهل وعن ولد

آخر

ثنتان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأى النساء وامرة الصبيان
أما النساء فيلهن الى الهوى ... وأخو الصبا يجرى بغير عنان

﴿ الباب الثانى فى عدد الثلاثيات ﴾

﴿ فصل فى الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من أعداد الثلاثة ﴾

(علامة المنافق ثلاثة) اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتمن خان (ارحموا ثلاثة) عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما بين جهال وقد نظمه من قال .

انى من النفر الثلاثة حقهم ... ان يرحموا فى حادث لازمان
فقر أضر وعالم مستجهل ... وعزيز قوم ذل للحدثان

(ثلاثة) من لم يكن فيه واحدة لم يجد طعم الايمان حلم يرده عن جهل

الجاهل وورع يحجزه عن محارم الله وخلق يدارى به الناس (ثلاثة) من رزقهن فقد جمع له خير الدنيا والآخرة الرضى بالقضا . والصبر عند البلاء والدعاء فى الرخاء (ثلاثة) من الموبقات فاحذروهن الحرص والحسد والكبر (ثلاث) منجيات وثلاث مهلكات . فالمنجيات خشية الله فى السر والعلانية والعدل فى حال الرضا والغضب وانصاف الناس من نفسك . والمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (ثلاث لايسلم منهن مسلم) الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا طيرت فامض (إذا كان) الشؤم فى شئ ففى ثلاث الدار والدابة والمرأة (ثلاث أوقات يستجاب فيها الدعاء) عند قراءة القرآن وعند الاذان وعند نزول المطر (ثلاثة لايضر معها شئ) الدعاء عند الكرب والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة .

﴿ فصل فيما يروى من عدد الثلاث عن الصحابة ومن يتلوهم رضى الله عنهم ﴾

(أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر لان الله عز اسمه يقول (انما بغيكم على أنفسكم) ويقول جل ذكره (ومن نكث فانما ينكث على نفسه) ويقول جل شأنه (ولا يحيق المكر السئ الا بأهله) عمر رضى الله عنه (ثلاث) قد ضمنهن الله تعالى فلا خلف فيهن (ان الله لايضيع أجر المحسنين) (ان الله لايهدى كيد الخائنين) (ان الله لايصلح عمل المفسدين) على رضى الله عنه حبب الى

من دنيا كم ثلاث اكرام الضيف والصوم فى الصيف والضرب فى سبيل الله بالسيف (عبدالله بن مسعود رضى الله عنه) أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر اذ تفرس فى يوسف فقال (أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) وصفوراء بنت شعيب اذ تفرست فى موسى (فقالت ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) وأبو بكر اذ تفرس فى عمر فاستخلفه على أمر الامة (سفيان بن عيينة) الارزاق ثلاثة رزق معلوم ورزق مقسوم ورزق مضمون فالمعلوم كما قال جل ذكره (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) والمقسوم قوله عز اسمه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) والمضمون قوله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) وعن غيره (الايام ثلاثة) مفقود ومشهود وموعود . فالمفقود أمس والمشهود اليوم والموعود غداً .

﴿ فصل فى نكت وغرر من كلام الامراء والسادة والكبراء فى أعداد الثلاثة ﴾

(عبد الملك بن مروان) أفضل الناس ثلاثة عاف عن قدرة ومتواضع عن رفعة ومنصف عن قوة (مسلمة بن عبد الملك) العيش فى ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل (سعيد بن العاص للجليس على ثلاث) اذا أقبل وسعت له واذا تحدث أصغيت اليه واذا سألنى أعطيته (سعد بن سلم) لذة العيش فى ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة الشباب ومذاكرة الاداب

﴿ فصل فى غرر الحكماء والبلغاء والظرفاء فى أعداد الثلاثة ﴾

(خالد بن صفوان) ليس لثلاث حيلة فقر يمازجه كسل وخصومة يداخلها حسد ومرض يخالطه هرم ومن كلامه لاتثق بثلاثة الملك والمرأة والفرس فان الملك ملول والمرأة خؤون والفرس شرود (ابن المقفع ثلاثة لايستخف بهم العاقل) السلطان والعالم والصديق فمن استخف بالسلطان ذهبت دنياه ومن استخف بالعالم ذهبت أخراه ومن استخف بالصديق ذهبت مروءته (محمد بن عبد الله المعتز) ثلاثة محبوبة لاتنال الا بثلاثة مكروهة لاينال العز الا بالذل والادب الا بالنصب وهوى النفس الا ببذل المال .

﴿ فصل في ملح النوادر التى بين الجد والهزل من أعداد الثلاثة ﴾

قال بعض ظرفاء الفلاسفة اللذات ثلاثة وهى اللحمانية أكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم فى اللحم (أبوالحسن بن سمعون) لايخلو ثلاث من ثلاث جسم من علة وقلب من شغل وكدخدائية (غمدية) من خلل قيل لبشار بن برد أى متاع الدنيا أحب اليك فقال طعام برّ وشراب مرّ وبنت عشرين بكر) وقال بعض الظرفاء (ثلاث) من المجان أكل الارز البارد والفساء وراء الستارة والقبلة فوق النقاب (قال أبو عبد الله الخباز) لايقوى على الصوم الا من طاب تأدمه وطال تلقمه ودام تنعمه (وكان الحسن بن سهل يقول) فى الارز ثلاث خصال يشبع الجيعان ويجيع الشبعان ويرى أحلاما حسنة (وكان السكاوزى يقول) أمور الدنيا على ثلاث مدورات

الرغيف والدرهم والدينار (وقال بعض الاذكياء) أفضل العيدان ثلاثة عصى موسى ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وخوان الدعوة .

﴿ فصل فيما يروى من عدد الثلاث عن الاطباء ﴾

أبو الحسن الصميرى . ألطف الاشياء ثلاثة الصبر وماء الرمان وماء الهندباء وأقواها ثلاثة الكباب والخاميز والبيض النمرشت (بعض الاطباء) ثلاثة تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع وثلاثة تمرض الجسم النوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير .

﴿ فصل فى الاشعار المشتملة على الثلاثة ﴾

فاذا بنات الدهر يسرن الفتى ثلاث خلال قلما تتيسر
كفافا يصون المرء عن بذل وجهه فيضحى ويمسى وهو حر موقر
وكأساً تسليه اذا الهم ضافه ومسمعة أنغامها ليس تنكر
ورابعة عزت وقلت وجودها صديقا على الأيام لايتغير
فتلك وحق الله حلفة صادق هى النعمة العظمى ان كان يشكر

(غيره)

ثلاث بها نلت المعالى والغنى وأصبحت معتز الجناب مموّلا
طويت على قصد المروة باطني وفى ظاهرى أبديت فيه التجملا
وأغضيت عما فى يد الخلق ناظرى وأبصرت ما لله عندى أفضلا

(وقال الصاحب بن العباد)

مثنا كلات قد جمعن وكلها متشابه أشباحها أرواح
واذا أردت مصرحا تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقي وقد جمعت لنا من أى هذى نملأ الاقداح

(وقال أبو بكر الخوارزمى)

عديت الورى للبردجند امن الفلا فلاقيته من بينهم بجنود
ثلاث من النيران نار مدامة ونار صبابات ونار وقود

(وقال بعض الظرفاء)

وفائك لازم مكنون صدرى وحبك غايتى والهم زادى
فهجرك من عذارك فى الليالى سواد فى سواد فى سوادى

(وقال أبو العباس الضبي)

ألا ياليت شعرى ما مرادك فقلبى قد أضرّ به بعادك
وأى ثلاثة أوفى سواداً أخالك أم عذارك أم سوادك

﴿ فصل مجمل فى الفنون المختلفة من الثلاثيات ﴾

(ثلاثة) لا أمان لها الماء والنار والسلطان (ثلاثة من عادام عادت عزته ذلة) السلطان والوالد والغريم (ثلاثة) تقر العيون المرأة الموافقة والولد الاديب والاخ الودود (من عرف بثلاثة استوجب ثلاثا) من عرف بالبخل استوجب الذم ومن عرف بالكذب استوجب المقت ومن عرف بالغيبة استوجب الخزى (ثلاث) يفسد المروءة الشحّ والحرص والغضب (تلق

النعمة من الله بثلاث) كثرة الشكر ولزوم الطاعة واجتناب المعصية (ثلاثة) لاتكون الا فى ثلاثة الغنى فى النفس والشرف فى التواضع والكرم فى التقوى (ثلاثة) تدل على عقول أصحابها الرسول والكتاب والهدية (ثلاثة) أشياء لاينبغى للعاقل تركها علم يحث به على عمل نافع فى المعاد وطب يكف به عن البدن الاسقام وصناعة يستعين بها على المعاش (ثلاثة) لاراحة لها الا بمفارقتها السن المتاكلة المتحركة والعبد الفاسد على مولاه والمرأة الناشز (ثلاثة) إن يهانوا فلا يلومن الا أنفسهم الداخل بين اثنين فى حديث لم يدخلاه فيه والآتى مائدة لم يدع اليها والمتآمر على رب البيت (ثلاثة) لاتنتظر من ثلاثة الوفاء من المرأة والنصيحة من العبد والحرمة من الفاسق (ثلاثة) يستأنس بها الزمان الرجل الصالح والملك العادل والصديق الصادق (ثلاثة) تحجز المرء من طلب المعالى قصر الهمة وقلة الرأى وضعف الحيلة (ثلاثة) هى من خير الاشياء للمرء عقل يعيش به ومال يتحبب به الى الناس واخوان يرشدونه الى الصواب (ثلاثة) من طبائع الجهال الغضب فى غير شئ والاعطاء فى غير حق وترك التمييز بين الصديق والعدو (ثلاثة) يورث المحبة الادب والدين والتواضع (ثلاثة) ليس معهن غربة حسن الادب وكف الاذى ومجانبة الريب (ثلاثة) تكسب المقت الكبر والظلم والبخل (ثلاثة) يعرف بها العاقل أن يكون مقبلا على شأنه مالكا للسانه مداريا لاهل زمانه (ثلاثة) لاتعدم الرشد مشاورة الناصح ومداراة الحاسد والتحبب الى الناس (ثلاثة)

من أمارات الشقاء قسوة القلب وجمود العين وطول الامل (أفضل) الملوك من رزق ثلاثا الرأفة والعدل والجود (ثلاثة) من كرم المرء الجود والبشر وترك المشاتمة قال الشاعر .

يا أيها المتمنى أن تكون فتى   مثل ابن ليلى وقد خلالك السبلا
اذكر ثلاث خلال قد عرفن له   هل سب من أحد أوسب أو بخلا

(ثلاثة) تزيد فى المودات التزاور فى الرجال والمحادثة على الموائد ومعرفة حشم أخيه (ثلاثة) لاراحة لهم حتى يدركوا بغيتهم النازل به البلاء حتى يتخلص منه والموعود خيرا حتى يناله والخائف عدوا حتى يأمن منه (طيب) المساكن بثلاثة سعة الصحن وخرير الماء وشئ من الخضرة .

﴿ الباب الثالث فى أعداد الاربع ﴾

﴿ فصل فى الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم من أعداد الاربع ﴾

(أربع) من سنن المرسلين الختان والسواك والتعطر والنكاح (أربع) من سعادة المرء أن تكون زوجته صالحة وولده بارا وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلاده (أربع) يذهبن ضياعا الاكل مع الشبع والسراج فى القمر والزرع فى السبخة والصنيعة الى غير أهلها (الأذلاء) أربعة النمام والكذاب والمديان والفقير (من) اجتنب أربعة دخل الجنة الدماء والاموال والفروج والاشربة

﴿ فصل فى الاربعات المقتبسة من القرآن ﴾

قال الشعبى من أعطى أربعاً لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ومن أعطى الاستغفار لم يمنع الاجابة لقوله تعالى (ادعونى استجب لكم) ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى (هو الذى يقبل التوبة عن عباده) وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه عجبت من أربعة كيف يغفلون عن أربعة عجبت لمن يبتلى بالغم كيف لايقول (لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) والله تعالى يقول (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) وعجبت لمن يخاف العدو كيف لا يقول (حسبنا الله ونعم الوكيل) والله تعالى يقول (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وعجبت لمن كايده العدو كيف لايقول (وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد) والله تعالى يقول (فوقاه الله سيئات ما مكروا) وعجبت لمن يستحسن شيئاً كيف لايقول (ماشاء الله لاقوة الا بالله) والله تعالى يقول (ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) وعنه رضى الله تعالى عنه أربعة لا يستجاب دعاؤهم رجل جالس فى بيته يقول يارب ارزقنى فيقول الله تعالى ألم آمرك بالطلب ألم تسمع قولى (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) ورجل له امرأة سوء يقول يارب نجنى منها فيقول الله تعالى ألم أجعل أمرها بيدك ألم تسمع قولى (وان يتفرقا يغنى الله كلا من سعته) ورجل كان له مال أتلفه اسرافا يقول يارب

إخلف علىّ فيقول الله تعالى ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ورجل دفع الى رجل مالا بغير بينة ثم طالبه به فأنكره فجعل يقول يارب انصفنى منه فيقول الله تعالى لم آمرك بالاشهاد ألم تسمع قولى (وأشهدوا اذا تبايعتم) وكان سفيان ابن عيينة يقول (أربعة) لاحساب عليها سد الجوعة ورد العطشة وستر العورة والاستكنان من البرد والحر لقوله تعالى (ان لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى وانك لاتظمأ فيها ولا تضحى . أبو النصر كان يقول أتذكر أربع آيات فى أربع أحوال اذا رأيت وجهاً حسناً تذكرت قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) واذا قرأت أو سمعت كلاماً حسناً تذكرت قوله تعالى (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون) واذا أكلت مع ثقيل تذكرت قوله تعالى (وطعاماً ذا غصة) واذا رأيت الفيل تذكرت قوله تعالى (هذا خلق الله)

﴿ فصل فى الاربعات من كلام الملوك والامراء ﴾

(اردشير) أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الأدب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة (أنوشيروان) أربعة أيام لأربعة أعمال يوم الغيم للصيد ويوم الريح للنوم ويوم المطر للشرب ويوم الشمس للحوائج . ومن كلامه أربعة قبيحة وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب في القضاة والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء (عمر بن عبد العزيز) أحب الاعمال الى الله تعالى أربعة الاقتصاد فى الغنى والعفو

عند القدرة والحلم عند الغضب والاحسان الى عباد الله (قال بعض الملوك) أربعة ينبغى أن يكونوا من أوثق ثقات الملك الوزير والطبيب والطباخ والساقى

﴿ فصل فى الاربعات من كلام الوزراء والسادة والكبراء ﴾

(يحيى بن خالد) السعادة أربعة سلامة الخلقة وجودة العقل وتأتى المطلوبات والمحبة من الناس (فضل بن سهل) لايتم أمر الملك الا بأربعة الرأى والمال والاعوان وكتمان السر كما لايتم الزرع الا بأربعة التربة والبذر والماء والشمس (أبو الحسن بن الفرات) فى الطيب أربع خصال سنة ومودة ولذة ومنفعة (أبو على بن عيسى) أربعة يسود بها المرء المال والعلم والزهد والامانة (أبو على ابن مقله) أمهات لذات الدنيا أربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع .

﴿ فصل فى الاربعات من كلام الادباء والبلغاء والظرفاء ﴾

احمد بن الطيب لا قليل من أربعة الدين والمرض والحزن والعداوة (أبو الحسن المقدسى) الموت أربعة الفراق ثم الشماتة ثم العزل ثم الخروج من الدنيا (أبو بكر الخوارزمى) أربعة تضر بى رسول بطىء وسراج لايضىء وقلم لايجرى ومائدة ينتظر عليها من يجىء (أبو نصر بن مرزبان) أربع من أمارات العاقل حفظ الصحة واختصار الطرق وتوقى الشنيع من كل ملبس والغلو فى كل مذهب (وقال بعض الادباء) أربع تذهب بالمروءة ذكر الرجل مايجرى بينه وبين حرمه ومحادثة النساء فى السبل ودخول الحمام بلا أزار

والتغوط بمرائى الناس *

﴿ فصل في الاربعات من غرر الاطباء ﴾

(على بن الزبير الطبرى) اجتنب أربعة وعليك بأربعة ولا حاجة بك الى الطبيب اجتنب الغبار والدخان والنتن والمكان الندىّ وعليك بالدسم والحلو والحمام والطيب (ابن مندوبة الاصفهانى) أربع يهدمن العمر ادخال الطعام على الطعام والشرب على الريق والتمتع فى الحمام ونكاح العجوز (ثابت ابن قرة الحرانى) راحة الجسم فى قلة الطعام وراحة اللسان فى قلة الكلام وراحة القلب فى قلة الاهتمام وراحة الروح فى قلة الآثام (أبو الحسن الصميرى) أربعة تغذى من غير أكل النظر الى كل شئ حسن وشم كل رائحة طيبة والنوم بعد الغذاء وافتراش الفرش الوطيئة *

﴿ فصل فى الاربعات من ذكر النساء ﴾

(وفا بن دلهم) النساء أربع فمنهن سمعمع تضر ولا تنفع . ومنهن صدعدع تفرق ولا تجمع . ومنهن القرثع وهى الحمقاء التى تلبس درعها مقلوبا وتكحل احدى عينيها وتدع الاخرى ومنهن غيث حيثما وقع (شبيب بن شيبة) النساء أربع واحدة كالغل فى العنق وأخرى وعاء للولد وثالثة لانفع ولا ضرر ورابعة تعين زوجها على الدين فهى خير المرء من عينه ويده .
(بعض الظرفاء) ينبغى أن تكون المرأة أربعات فى محاسنها (أربعة شديدة البياض) (وأربعة شديدة السواد) (وأربعة شديدة الحمرة) (وأربعة مدورة)

(وأربعة واسعة) (وأربعـة ضيقة) (وأربعة صغار) (وأربعـة غلاظ) (وأربعة طوال) (وأربعه دقاق) (وأربعه طيبة الرائحه) أما شديدة البياض فالثغر والاسنان والاظفار والساقين . وأما شـديدة السواد فشعر الرأس والحاجبين والعين والاشفار . وأما شديدة الحمرة فاللسان والشفتان والوجنتان والبنان . وأما المدورة فالرأس والعنق والساعدان والعرقوب . وأما الواسعة فالجبهة والعين والصدر والفخذان . وأما الضيقة فالفرج والسرة والمنخران وصماخ الاذن . وأما الصغار فالقدمان واللسان والكفان والفم . وأما الغلاظ فالعجيزة والعضد والركبتان والثديان . وأما الطوال فالشعر والقد والعنق والاصابع . وأما الدقاق فالحاجبان والشفتان والانف والخصر . وأما الطيبة الرائحة فالفرج والابطان والفم والانف *

﴿ فصل فى الاشعار المشتملة على الاربعه ﴾

أربعـه مذهبـة   لكل هم وحزن
تحى بها عين ورو   ح وفؤاد وبدن
الماء والبستان والقهـ   ـوة والوجه الحسن

(وقال السرى الموصلى)

سر مسرك الله فيما انت منتظر   فقد جرى بالذى يهوى لك القدر
وساعدتك بما أملت أربعـة   الفتح والنجح والاقبال والظفر

(وقال منصور بن أبى المنصور المروى)

وأسكرنى بدر تم غـدت   من الورد وجنته فى النقاب
خمر الدنان وخمر الجفون   وخمر الخدود وخمر الرضاب

(وقال بعض الظرفاء)

بأربعة أرجو نجاتى وانها   لأكرم مذخور لدى وأعظم
شهادة اخلاص وحبى محمداً   وحسن ظنونى ثم إنى مسلم

﴿ فصل مجمل فى الفنون المختلفة من نكت الاربعات ﴾

(أربعة) لا تشبع من أربعة عين من نظر واذن من خبر وأنثى من ذكر وأرض من مطر (أربعة) تذهب ماء الوجه الكذب والوقاحة والتكبر والدخول فى الفضول (أربعة) تزيد ماء الوجه الوفاء بالعهد والكرم والكلام الطيب وطاعة الله سبحانه وتعالى (أربعة) اذا جمعت فى الرجل أهلكته * محبة النساء والصيد والخمر والقمار (وجوه الاموال أربعة) الزرع والضرع والتجارة وعمل السلطان (أربعة لا تدرك بأربعة) الشباب بالخضاب والغنى بالمنى والبقاء بالدواء والصحة بالحمية (أربعة تؤكد المحبة) حسن البشر وبذل البر وقصد الوفاق وترك الشقاق (أربعة تؤدى الى أربعة) الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة (أربعة تقوى البصر) رؤية الوجه الحسن والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس (تعلموا أربعة من أربعة) البكور من الغراب والخضوع من الهرة والترؤس

من النحل وإدخار القوت من النملة (العجلة مذمومة الا فى أربعة) أداء فرض الصلاة اذا حانت وإنتهاز الفرصة إذا أمكنت وتزويج البنت اذا أدركت ودفن الميت اذا مات *

﴿ الباب الرابع في الخمسيات ﴾

﴿ فصل فى الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من أعداد الخمسيات ﴾

(اغتنم) خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك (خمس تجب للمسلم على أخيه) رد السلام وتشميت العاطس واجابة الداعى وعيادة المريض واتباع الجنائز (خمس خصال من السعادة) اليقين فى القلب والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والحياء والعمل (خمس) يقبحن فى خمسة من الناس الفتوة فى الشيخ والحرص فى القارئ وقلة الحياء فى ذى الحسب والبخل فى الاغنياء والجدة فى ذوى القدرة (خمس دعوات لاترد) دعوة الغازى حتى يرجع ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة المظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر ودعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب *

﴿ فصل فى الخمسيات من كلام سادات السلف وغيرهم ﴾

عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه (أمور الناس على خمسة عشر

وجها) فخمسة منها بالتقدير . وخمسة منها بالعادة . وخمسة منها بالتعليم . فأما التى بالتقدير فالحسن والقبح والغنى والفقر والعمر . وأما التى بالعادة فالاكل والشرب والمشى والنكاح وقيام الليل . وأما التى بالتعليم فالكتابة والرماية والسباحة والصناعة والعلم . وقال بعض السلف (القبلة) خمسة قُبلة رحمة . وقبلة مكرمة . وقبلة اجلال . وقبلة تعبّد . وقبلة شهوة . فأما التى للرحمة فقبلة الوالد . وأما التى للمكرمة فقبلة الوالدين . وأما التى للاجلال فقبلة السلطان وأما التى للتعبد فقبلة الحجر الاسود . وأما التى للشهوة فقبلة المرأة (المأمون) فى تقسيم خمسة من الثمار على خمسة من الاعضاء الرمان للكبد والسفرجل للمعدة والتفاح للقلب والتين للطحال والبطيخ للمثانة *

﴿ فصل فى الاشعار المشتملة على الخمسيات ﴾

وفى خمسة منى حلت منك خمسة ... فريقك منها فى فمى الطيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى ... ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

آخر

اذا خمدت أنوار نفسك فاعتمد ... لاشعالها خمسا غدت خير اخوان
ولا تعتمد شيئاً سواها فانها ... لمن يعتريه الهم أوثق أركان
فراح وريحان وساق مهفهف ... ونغمة ألحان وطلعة اخوان

آخر

اقبل على صلواتك الخمس ... كم مصبح عساه لايمسى
واستقبل اليوم الجديد بتوبة ... تمحو ذنوب صحيفة الامس

﴿ الباب الخامس فى أعداد الستة فصاعداً ﴾

﴿ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ﴾

(ست) ليال اجهدوا فيهن أنفسكم أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء (الاحنف ابن قيس) ست خصال يعرف بها الجاهل الثقة بكل انسان والكلام فى غير نفع والغضب من غير سبب والعطية فى غير موضعها وإفشاء السر الى كل أحد وقلة التمييز بين العدو والصديق (فضل بن ربيع) إن فى المرض ست خصال فيه تنقية الجسم وتمحيص للذنب وتعرض للثواب واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة (بعض الادباء)

ست بليت بها والمستعاذ به — من شرها من اليه الخلق يبتهل
نفسى وابليس والدنيا التى فتنت — من قبلنا والهوى والحرص والأمل
ان لم تكن منك يا مولاى واقية — من شرها فقد أعيت عبدك الحيل

(أبو يعقوب الخزيمى) فى مدح العمى كان يقول فى العمى سبع خصال اجتماع الرأى والذهن . وقوة الحفظ . وسقوط الواجب من الحقوق . وأمان من فضول النظر الداعية الى الذنوب . وفقد النظر الى الثقلاء وحسن العوض فى دار الثواب (يحيى بن خالد) لذات هذه الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفراش الوطئ والدار الواسعة والمرأة الموافقة والخادم

الفاره والقدرة على الاحسان (المأمون) لذات الدنيا ملولة الاثمان منها خبز الحنطة ولحم الضأن وماء الثلج والثوب الناعم والرائحة الطيبه والفراش الوطئ والنظر الى الوجه الحسن ومحادثة الرجال (جعفر البرمكى) تسعة أشياء ضائعة فى تسعة سلم فى مفازة وسراج فى شمس وقفل على خربة وخضاب شاب وطاوس فى ناوس وحسناء تزف الى عنين وطعام يقدم الى سكران وبذر فى سباخ واحسان الى لئيم (اسحاق الموصلى) سئل عن عدد الندماء فقال واحد هم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة مجلس وستة زحام وسبعة سوق وثمانية جيش وتسعة ألق بهم من شئت وعشرة استعذ بالله من شرهم (بعض الحكماء الأطباء) اذا لازمت خمسة عشر حالة فقد حفظت صحتك * لاتدخل طعاماً على طعام * ولاتمش حتى تعيا * ولاتجامع عجوزا * ولا تدخل حماما على الشبع * واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء * وعليك فى كل أسبوع بقيئة * ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها * ولا تأكل القديد من اللحم * واذا تغديت قم * واذا تعشيت فامش أربعين خطوة * ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة * ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم * ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع * ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج * واقصد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه *

﴿ الباب السادس فى مكارم الأخلاق ﴾

قد ثبت عند كل فاضل زكى . ولدى كل ذى ذهن نقى ان الانسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز فهو أبداً يختار من الأمور أفضلها * ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها . ومن سعادته وتمام كماله أن يكون مرتاضا بمكارم الاخلاق ومحاسنها . متنزها عن مساويها وقبائحها . آخذاً فى جميع أحواله بقوانين الفضائل . عادلا فى أفعاله عن طرق الرذائل . ومن الواجب عليه أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب . ويصرف همته فى اقتناء كل خيم كريم خالص من الشوائب . وأن يبذل جهده فى اجتناب كل خصلة مكروهة ويستفرغ وسعه فى اطراح كل خلة مذمومه . حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه . ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله . فالسعيد من غلبت فضائله على رذائله فقدر بوفور الفضائل على قهر الرذائل وسلم من شين النقص وسعد بفضيلة الفضل . فالانسان اذا راعى طرق الانسانية وسلك سبيلها صار محببا الى الناس مقبول القول معظما عندهم موقراً عند الأمراء قوى النفس على الفعل الجميل قادراً على اطراح الفعل المرذول وغلب عليه الصلاح ولحق برتبة أهل الفضل وصارت الفضائل له ديدنا وأصبح مكرماً عند الله والناس . ولما كان من المحتم بل من أعظم وأقدس الواجبات على الأمة أن يقوموا بتعريف الناس أسباب راحتهم

الحقيقية والحض على مكارم الأخلاق على السنة الكتب والاسفار ومن غير تقديس هذا الأمر فكل ما يعملونه لراحتهم ولذتهم ظلمات بعضها فوق بعض لذلك وجب علينا أن نذكر فى هذا الكتاب بابا فى مكارم الاخلاق حتى يكون درة هذا الكتاب . الجامع لاشتات الحكم والآداب فها أنا ابتدأ بذكر العقل أولاً لأنه أصل لكل خلق محمود * متوكلا على الله العزيز الودود *

اللهم صل التوفيق بقولنا * والتصديق بعملنا * والتحقيق بقلوبنا * ولا تكلنا الى حولنا وقوتنا * ولا تحل بيننا وبين ما يقربنا منك ويدنينا من بابك ويجيرنا من عذابك ياذا الجلال والاكرام *

﴿ فصل فى العقل ﴾

العقل أس المعارف وينبوع الحكمة به ألف الله بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم فالعقل عماد الدين والدنيا وهو أصل لكل محمود من الأخلاق فاذا عدم الأصل فلابقاء للفرع قال النبى صلى الله عليه وسلم (ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يرده على ردى) (عمر بن الخطاب) أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه *

اذا كمل الرحمن المرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

(على بن عبيدة الريحانى) العقل ملك والخصال الحسنة رعيته فاذا

ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها (طاوس) ماقلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصحابها من العقل ولو ناصح المرء عقله لاراه ما يزينه مما يشينه قالوا وحد العقل هو الحكم على حقيقة المطلوب بما هو عليه العقل رأس العلوم ومفتاح كل المصالح .

اذا تم عقل المرء تمت أموره — وتمت امانيه وتم بنائه

العقل عقال النفس عقول كل قوم على قدر زمانهم . العقل أشرف الأحساب . العقل الاصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان (بزرجمهر) كفاك من عقلك ماقربك الى خير أمرك وأبعدك عن شرك وشر غيرك وقيل كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ولو بيع لما اشتراه الا العقلاء لمعرفتهم بفضله (بعض البلغاء) ان العاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد .

يعد رفيع القوم من كان عاقلا — وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله — وما عاقل فى بلدة بغريب

أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده ويقال إن العقل وزير رشيد وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أرداه .

وأفضل قسم الله للمرء عقله — فليس من الخيرات شئ يقاربه
يزين الفتى فى الناس صحة عقله — وان كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله — وان كرمت أعراقه ومناسبه

(بعض الأدباء) مثل العقلاء فى الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الا بهما فكذلك المرء فى الدنيا لاحظ له الا اذا كان عاقلا .

العقل حلة فخر من تسربلها — كانت له نسبا تغني عن النسب
والعقل أفضل مافى الناس كلهم — بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

﴿ فصل فى الأدب ﴾

الأدب أكرم الجواهر طبيعة . يرفع الأحساب الوضيعه . ويفيد الرغائب الجليله . وينتج القصد والوسيله . فألبسوه حلة . وتزينوه حلية . فانه انفق معاش . وأجمل رياش . وقال الشعبى الأدب للفقير مال . وللغنى جمال وللحكيم كمال . تعلموا الأدب فانه زيادة فى الفضل ودليل على العقل وصاحب فى الغربة وأنيس فى الوحدة وجمال فى المحافل وسبب الى درك الحاجة (قال عبد الملك) لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا برزتم . وان كنتم أوساطا فقتم . وان أعوزكم المعاش عشتم . استفيدوا من الأدب ولو كلمة واحده . لان الرجل بلا أدب شخص بغير آلة . وجسد بلا روح . وقد يستغنى بالأدب عن الحسب (وحكى) أنه تكلم رجل بين يدى المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين . فقال نعم الحسب الذى انتسبت اليه . وبالجملة المرء مرء بادابه . لا بثيابه وبفضيلته . لا بفصيلته وبعقله لا بماقله وبأبنائه لا بآبائه . وبكماله لا بجماله .

كن ابن من شئت واكتسب أدبا — يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

وقالوا الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب . ويقال الأدب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب .

كم من خسيس وضيع القدر ليس له   فى العز بيت ولا ينمى الى نسب
قد صار بالأدب المحمود ذا شرف   عال وذا حسب محض وذا نشب
يعلى التأدب أقواما ويرفعهم   حتى يساووا ذوى العلياء فى الرتب

﴿ فصل فى الجود ﴾

الجود أحد أسباب الألفة لانه يوصل الى القلوب محبة وانعطافا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجود جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم ألا ان السخاء شجرة فى الجنة أغصانها مدلاة فى الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا وان السخاء من الأيمان والأيمان فى الجنة) ان الله جواد يحب كل جواد أفضل الجود النوال من غير مسئلة .

(أبو التمام من درر شعره فى مدح بعض أهل الجود قوله)

هو البحر من أى النواحى أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله
كريم اذا ما جئت للعرف طالبا   حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير روحه   لجاد بها فليتق الله سائله

(وقال بعض الادباء فى وصف الاجواد والكرماء)

الاجواد هم الذين جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم فالحمد فيهم زائد

والجود فيهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفسهم اذا طلبت منهم ويباشرون المكروه بأشراق الوجوه اذا بغى عليهم .

(مروان بن أبى جعفر قوله فى مدح بعض أهل الجود)

له سحائب جود فى أناملها   أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العمران أيسرت ثانية   أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى اذا عدن أيام اليسار له   رأيت أمواله فى الناس تنتهب

وقالوا حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن الحفظ وقالوا واضع المعروف الى غير أهله كالمسرج فى الشمس قال الشاعر

عليك بذى الاقدار فاكسب ثناءهم   فمالك فى غير الاكارم ضائع
وما مال من أعطى الكرام بناقص   ولكنه عند الكرام ودائع

﴿ فصل فى التواضع ﴾

التواضع من مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها الا التواضع التواضع للناس من موجبات الالفة . فالتواضع سلم الشرف وموجب للترقي الى أعلى الغرف . وهو أجل مزية وافضل سجيه . وتاج الوقار وشعار الاطهار . وشبكة الشرف وأشرف الشرف . أما الكبر فهو وصف مذموم . وصاحبه من الخيرات محروم . يضعه الله كلما ارتفع . ويخفضه كلما طلع . وهو أخبث سرائر القلوب . وأعظم كبائر الذنوب .

وأحسن أخلاق الفتى وأجلها   تواضعه للناس وهو رفيع

وأقبح شر ان يرى المرء نفسه   رفيعا وعند العالمين وضيع

وقالوا حد التواضع هو اظهار الخمول واجتناب المباهاة وترك العجب فينبغى لمن عظم قدره وامتثل أمره ونهيه وانتشر فى الناس ذكره أن يكون للاعجاب طارحاً وعن الكبر نازحاً لأنهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل (وقال سيدنا على كرم الله وجهه) الأعجاب ضد الصواب وآفة الألباب . (بعض الحكماء) من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة (قال بزرجمهر) النعمة التى لايحسد صاحبها عليها التواضع والبلاء الذى لايرحم صاحبه العجب . (بعض الحكماء) عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله وليس لما يكسبه الكبر من المقت حد ويقال من دام تواضعه كثر صديقه وازداد رفعته .

اذا شئت ان تزداد قدراً ورفعة   فلن وتواضع واترك الكبر والعجبا

وأحق من كان للكبر مجانبا وللأعجاب مباينا من جل فى الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه قد يستقل بعالى همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير قال النبي صلى الله عليه وسلم .

« أن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »

﴿ فصل فى العفو ﴾

العفو شيمة أهل الفضل وعنوان ذوى العقل وأنفس الاخلاق وهو

نفس الفضيلة بالاتفاق لان صاحبه يذكر ثواب العفو وجزاء الصفح فيقهر نفسه على ترك الغضب رغبة فى الجزاء والثواب . وحذراً من استحقاق الذم والعقاب قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما ازداد أحد بعفو الا عزاً فاعفوا يعزكم الله)

واحلم عن الناس اذما كنت مقتدراً   فسيد الحر من يعفو اذا قدرا

(الاحنف) ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب (بعض الحكماء) العفو عن الذنب وقبول المعذرة من محاسن الشيم . العفو يزين حالات من قدر كما يزين الحلى قبيحات الصور . ابراهيم بن عباس الصولى .

من يدرك المجد أقوام وان كرموا   حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة   لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

خير الامور بغية العفو وخير العفو ما كان على قدرة .

العفو يعقب راحة ومحبة   والصفح عن ذنب المسئ جميل

(مؤلف الكتاب) العفو له مواضع وحدود فاذا تجاوز عن ذلك يحصل الفساد . والعدوان بين الناس فلا بد أن تكون زمام الامور على طريق العدل والانصاف حتى تتم المقاصد وتنتظم الاحوال .

أرى اللين ضعفاً والتشجع هيبة   ومن لايهب يحمل على مركب وعر
وما كل حين ينفع الحلم أهله   ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر

﴿ فصل فى الصدق ﴾

من صدقت لهجته ظهرت محبته . من عرف بالصدق جاز كذبه . ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه . من قل صدقه قل صديقه تمام صدق الاخاء ما تحمله العقول الصدق أفضل أخلاق الانسان فمن تحلى به فقد أحرز الفضل بكماله . وجمع الخير بأقواله وأفعاله لأنه أوضح دلائل العقل وأعدل شواهد الخير وأقرب الى السلامة وأجدر بالتعظيم والكرامة وقالوا فى تعريفه هو الاخبار عن الشئ بما هو عليه

الصدق يمن ومنجاة ومحمدة   فيه الكرامه والاقبال والشرف

الصدق فضيلة حسنة لا يحصد غارسها فى نفسه الا أثماراً طيبة وخيرات جزيلة قال النبي صلى الله عليه وسلم (تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رأيتم ان فيه النجاة فان فيه الهلكة)

عود لسانك قول الصدق تحظ به   ان اللسان لما عودت معتاد

آخر ما أحسن الصدق فى الدنيا لقائله   وأقبح الكذب عند الله والناس

آخر عليك بالصدق ولو أنه   أحرقك الصدق بنار الوعيد

﴿ فصل في الحلم ﴾

الحلم يجمع أشرف الخلال. وأكرم الخصال. وأفضل شمائل الجلال. وأعلى مراتب الكمال. وهو ركن متين. وحصن حصين . من استند اليه واعتمد عليه استنارت له الظلم . وأمن من عثرات القدم . وعصم من مواقع الندم . ويكفى

فى شرفه أن الانسان لا يسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محسنا صبورا وحتى يجمع عظم القدر الى سعة الصدر .

ألا ان حلم المرء أكرم نسبة   تسامى بها عند الفخار كريم

فيا رب هب لى منك علما فاننى   أرى الحلم لم يندم عليه حليم

الحلم حجاب الآفات . من غرس شجرة الحلم اقتنى ثمرة السلم . قال صلى الله عليه وسلم (من حلم ساد . ومن تفهم ازداد) وقد قالوا فى تعريفه هو ترك الانتقام مع القدرة ومجازاة الاساءة بالاحسان. فالحلم من أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد

﴿ فصل فى الحياء ﴾

الحياء شعبة من الايمان . الحياء سبب كل جميل . أحيوا الحياء بمجاورة من يستحيي منه . قال صلى الله عليه وسلم (الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار) بعض الحكماء من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه (بعض البلغاء) حياة الوجه بحيائه . كما ان حياة الغرس بمائه

اذا لم تخش عاقبة الليالى   ولم تستحى فاصنع ماتشاء

فلا والله مافى العيش خير   ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

﴿ صالح عبد القدوس ﴾

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه   فلا خير فى وجه اذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك وانما   يدل على فضل الكريم حياؤه

(مؤلف الكتاب) المرء يعرف بسيمائه . وقالت العرب أيضا فى المثل تخبر عن مجهوله مرآته . وقال عمر بن سالم

لاتسأل المرء عن خلائقه   فى وجهه شاهد من الخبر

﴿ فصل فى الصبر ﴾

من خير خلالك الصبر على اختلالك . بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ . وتنفتح وجوه الآراء . وتستدفع مكائد الأعداء . وقالوا فى حده هو مقاومة المرء للهوى عند مغالبته . فان من قل صبره . عزب رأيه . واشتد جزعه فصار صريع همومه . وفريسة غمومه . وقد قال تعالى (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)

ولئن تصبك مصيبة فاصبر لها   عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

(قال بعض البلغاء) من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعمى

(محمد بن بشير)

ان الأمور اذا سدت مطالبها   فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا

لاتيأسن وان طالت مطالبة   اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(اكثم بن صيفى) من صبر ظفر . بعض السلف أفضل العدة الصبر على الشدة .

ما أحسن الصبر فى مواطنه   والصبر فى كل موطن حسن

حسبك من حسن عواقبه   عواقب الصبر مالها ثمن

ويقال الصبر مفتاح النصر . ويقال النصر فى مطاوى الصبر

اذا كنت فى أمر ولم تر حيلة   فصبرك ان النجح يدرك بالصبر

كذاك عيون الماء تكدر مرة   وتصفو مرارا هكذا عادة الدهر

(بعض الشعراء قوله فى الصبر ولم يسمع أحسن منه)

أما والذى لاخلد الا لوجهه   ومن ليس فى العز المنيع له كفو

لئن كان بدأ الصبر مرا مذاقه   لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

(ومما لعلى رضى الله عنه فى الصبر)

اني رأيت وفى الأيام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله   واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

﴿ فصل في الشكر ﴾

الشكر ترجمان النية . ولسان الطوية . وشاهد الاخلاص . وعنوان الاختصاص . وهو أمر محبوب ومرغوب فيه ومطلوب (قال عمر رضى الله عنه) النعمة داء ليس لها شفاء الا الشكر . (ابن المعتز) شكرك نعمة سالفه يقيض لك نعمة مستأنفة . الشكر قيد النعمة . ومفتاح الزيادة . وثمن الجنة . الشكر طريق السعادة . ان قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر

سأشكر لاأنى أجازيك نعمة   بشكرى ولكن كى يقال له الشكر

قال النبى صلى الله عليه وسلم (من ذكر معروفا فقد شكره . ومن ستره فقد كفره)

(قال عمر بن حبوس)

سأشكر ما دام اللسان يطيعنى   صنوفا أتت من جودك المتتابع
توالت على من لا يدل بخدمة   عليك ولا يدلى اليك بشافع

﴿ فصل فى المشورة ﴾

المشورة حصن من الندامة . وأمان من الملامة . وهى واجبة على كل حزم . متعينة على كل ذى لب وفهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم (لقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة) الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه . المشاورة راحة لك وتعب لغيرك . وحق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر بحيث يؤدى حق هذه النعمة باخلاص السريرة . ويكافىء على الاستسلام ببذل النصح .

خصائص من تشاوره ثلاث   فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل   ومعرفة بحالك فى الحقيقه
فمن حصلت له هذى المعانى   فتابع رأيه والزم طريقه

مشورة المشفق الحازم ظفر . ومشورة المشفق غير الحازم خطر .

(بعض الحكماء) من استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول

وما كل ذى ود بموليك وده   ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(مؤلف الكتاب) يلزم أن يكون المستشار عارفا بمبادي الاحوال وخواتم الاعمال . وبمرآة الافكار النفع من الضار

اذا كنت ذا رأى فكن ذا اناءة   فان فساد الرأى أن تتعجلا

وبالجملة عليك بالمشورة فانها تأمر بالتى هى أحسن وتهدى للتى هى أقوم

شاور سواك اذا نابتك نائبة   يوما وان كنت من أهل المشورات

﴿ فصل فى الوعد ﴾

وعد الكريم فرض واجب التعجيل . الوفا بالوعد من شيم الكرام . وأفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المحبة والاخلاص وهو أصل المودة والصفا وثمرة المحبة والاخاء . (بعض الحكماء) من نكث عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده .

ولا خير فى وعد اذا كان كاذبا   ولا خير فى قصد اذا لم يكن فعل

(بعض الحكماء) اذا أردت وفاء الرجل فانظر حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه . وبكائه على مامضى من زمانه .

(مؤلف الكتاب) الوفاء أس الصداقة فى الاخوة بل هو عين المروءة والفتوة ولكن فى هذا الزمان قد ترك عينه وأثره . ودرس أصله وخبره

أما الوفاء فشىء قد سمعت به   وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم فى الدنيا أخا ثقة   فانه بشر لا يعرف البشرا

﴿ فصل فى المداراة ﴾

المداراة سياسة لطيفة لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار . فمن كثرت مداراته كان فى ذمة الحمد والسلامة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس)

وجه عليه من الحياء سكينة   ومحبة تجرى مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده   القى عليه محبة فى الناس

فعلى العاقل أن يكون مقبلا على شأنه . راضيا عن زمانه . سلما لاهل دهره . جاريا على عادة عصره . ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه . ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه . فان موافقة الناس رشاد .

مادمت حيا فدارى الناس كلهم   فانما أنت فى دار المداراة

قال النبى صلى الله عليه وسلم (لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم يبسط الوجه وحسن البشر) (بعض الحكماء) من لم يحسن المداراة للناس ناد به المكروه .

سالم الناس ما استطعت فدار   أخسر الناس أحمق لايدارى

﴿ فصل فى كتمان السر ﴾

كتمان الاسرار من أقوى أسباب النجاح . وأدوم لاحوال الصلاح قال النبى صلى الله عليه وسلم (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود) وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه . ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا . ومن عواقبه سالما . ولنجاح حوائجه راجيا ويقال كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة . والصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على افشائه .

اذا المرء أفشى سره بلسانه   ولام عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر أضيق

الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته فيذيع سره

احذر عدوك مرة   واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق   فكان أعلم بالمضرة

(مؤلف الكتاب) من لم يقدر على كتمان سره فليختر لسره أمينا يستودعه اياه

لاتفش سرك الا عند ذى ثقة   أولا فافضل مااستودعت أسرارا

صدرا رحيبا وقلبا واسعا صمتا   لم تخش منه لما أودعت اظهارا

وبالجملة الصدور خزائن الاسرار . والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرء مفتاح سره . وقد قيل لاخير فى لسان لايملك سره

﴿ فصل فى التأنى والرفق ﴾

التأنى فى الامور دعامة النجاح . ومصدر الفوز والفلاح . به تسود الممالك وتنجو من العطب والمهالك (وفى الحكم) يد التأنى تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة

لاتعجلن بامر أنت طالبه   فقلما يدرك المطلوب بالعجل

فذو التأنى مصيب فى مقاصده   وذو التسرع لايخلو من الزلل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها (عليك بالرفق

فان الرفق لايخالط شيئا الا زانه . ولايفارق شيئا الا شانه)

الرفق يمن والاناة سعادة ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

(بعض الحكماء) من تأنى أدرك ماتمنى . الاناةحصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة .

تأن ولا تعجل لامر تريده وكن راحما للناس تبلى براحم

﴿ فصل فى حسن الاخلاق ﴾

ان ينبوع السعادة ومصدر السؤدد والسيادة حسن الأخلاق وهو من شيم الانبياء وأخلاق الاولياء فاذا حسنت أخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب (بعض الحكماء) حسن الخلق يمنع من ارتكاب القبائح فانه لايشا كلها (ارسطاطاليس) حسن الخلق حلية النفوس كما ان حسن الخلقة حلية الجسد وصاحبه يجذب بمكارم أخلاقه الافئدة والقلوب وينال من عدوه قبل صاحبه كل مطلوب (مؤلف الكتاب) المرء مرء بمحاسن أوصافه ومكارم أخلاقه وانما يستحق اسم الانسانية من حسن خلقه (بعض البلغاء) الحسن الخلق من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة .

تزين الفتى أخلاقه وتشينه وتذكرأفعال الفتى حيث لايدرى

﴿ المروءة ﴾

المروءة جامعة لاشتات المبرات. جالبة لأسباب المسرات. دالة على كرم

الأعراق . باعثه على مكارم الاخلاق . ناظمة لقلائد الفوائد . عاقلة لشوارد المحامد . فمروءة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وكف الاذى عن جيرانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته) (بعض الحكماء) المروءة أن لاتعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية (وقال بعض البلغاء)لاتفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعداء.

من فارق الصبر والمروءة أمكن من نفسه عدوه

وبالجملة المروءة اسم جامع للمحاسن كلها

﴿ فصل فى المعروف ﴾

المعروف يدل عليه اسمه فهو عبارة عن طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول وحسن الخلق ورقة الطبع قال النبى صلى الله عليه وسلم (المعروف كاسمه) فينبغى لمن يقدرعلى المعروف أن يعجله حذر فواته. ويبادر بهخيفة عجزه . و بعدالاتيان به . يترك الامتنان بمعروفه . ويجتنب الاعجاب بفعله . لان من منَّ بمعروفه أسقط شكره ومن أعجب بعمله أحبط أجره .

أفسدت بالمن ماأسديت من حسن ليس الكريم اذا أسدى بمنان

(بعض الحكماء) اذا اصطنعت المعروف فاستره .واذا صنع اليك فانشره .

وافضل مادخرت على الليالى صنائع عند مصطنع شكور

(مؤلف الكتاب) المنعم بالمعروف يلزم أن لاينظر من هو شا كر أو نا كر لمعروفه

يد المعروف غُنم حيث كانت   تحملها شكور أو كفور
فني شكر الشكور لها جزاء   وعند الله ماجحد الكفور

وعلى كل ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسناً جميلا فما تركت الآباء للابناء ولا أبقت الاموات للاحياء أفضل من المعروف عليكم باصطناع المعروف فان الدهر ذو صروف والايام ذات نوائب تقضي على الشاهد والغائب

ليس فى كل ساعة وأوان   تتهيأ صنائع الاحسان

المعروف كنز لاتأكله النار . وثوب لايدنسه العار . وذخيرة لدار القرار عليك باتيان المعروف حين الاقتدار .

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد   مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت   اليك لا لك عند الناس حاجات

وقيل لنوشيروان ما أعظم المصائب عندكم فقال ان تقدر على المعروف ولا تصطنعه حتى يفوت (شاعر)

اذا هبت رياحك فاغتنمها   فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها   فما تدرى السكون متى يكون

المعروف حصن النعم من صروف الزمن انما سمى المعروف معروفا لان الكرام عرفت فضله (مؤلف الكتاب) ومن المعروف معاشرتك مع الناس بالجميل

وعاشر بمعروف وكن متودداً   ولا تلق الا بالتى هي أحسن

﴿ فصل فى التجربة ﴾

لسان التجربة أصدق التجارب . من عرف المآرب طابت له المشارب . مرآة العواقب فى يد ذى التجارب . عليك بمن بلغ من العمر أشدّه . ومن التجربة أورى زنده . لانه حلب ضرع دهره . فلا يشتبه عليه نفعه بضره (مؤلف الكتاب) ان المشورة بأراء العقلاء الحازمة من أحسن التجارب لانهم يعرفون بمرآة أفكارهم عواقب الأمور وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (استرشدوا العاقل ترشدوا . ولا تعصوه فتندموا)

(البحترى قوله فى مدح آراء وأفكار سليمان بن عبد الله)

يرى العواقب فى أثناء فكرته   كأن أفكاره بالغيب كهّان
لافكرة منه الا تحتها عمل   كالدهر لادورة الا لها شأن

آخر   ان التجارب تؤذى عند نوبتها   لكن عواقبها محمودة الاثر

﴿ فصل فى التقوى والعفة ﴾

التقوى العدة الوافية والجنة الواقية . فى ظاهر التقوى شرف الدنيا وفى باطنها شرف الآخرة اتق دعوة المظلوم فانه يسأل حقه وان الله لايمنع ذا حق حقه . العفة هى اكرام الشخص نفسه عن النقائص فمن كرمت نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر . مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج وقال النبى صلى الله عليه وسلم (أحب العفاف الى الله عفاف البطن والفرج) من عفت

أطرافه حسنت أوصافه . عفة مع حرفة . خير من سرور معه فجور

﴿ فصل فى الاصابة بالرأى والظن ﴾

الاصابة أن يتحرى المرء باول رأيه آخر الامر . قال ابن العميد العاقل من استنتج فى كل أمر خاتمته . وعلم من كل بدء عاقبته . وطالع بقلبه من كل غصن مايخفى منه ومن كل زرع مايحصده

(وقال الشاعر مادحا اصابة الرأى)

وذو يقظات مستمر مريرها ... اذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
بصير باعقاب الأمور كأنما ... يخاطبه من كل أمر عواقبه
وأين يغر الحزم منه وانما ... مرائى الأمور المشكلات تجاربه

أما الاصابة بالظن فمعلوم أن من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه لان ظن الرجل قطعة من عقله قال الشاعر

يريك بالظن ماقل اليقين به ... والشاهدان عليه العين والاثر
كأنه وزمام الدهر فى يده ... يرى عواقب مايأتى وما يذر

وبالجملة فالشخص العاقل الخير معقود فى نواصى آرائه . واليمن منقاد فى نواحى أنحائه . اذا أزكى سراج الفكر أضاء ظلام الامر . وخير الرأى ماتخفى مكائده وتظهر عوائده .

﴿ فصل فى الاقتصاد واصلاح المال ﴾

رأس العقل الاقتصاد فى الانفاق من غير خشية الاملاق معلوم لدى

كل عاقل ان حاجة الأمم الى المال كحاجة الجسم الى الغذاء لان عليه قوام الصنائع والفنون . وأسرار مكنونات العلوم . وقضاء الحاجات من جميع المهمات . وبه مجد الحياة وعز الممات

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال فى الدنيا لمن قل عزه

المال حياة الامم ولا قيام لها الا به فالواجب اذاً استعمال العدل فى الصرف والتباعد عن الاسراف وكم رأينا أهل الاسراف ذلوا بعد العزة وافتقروا بعد الغنى فاستعمال حد الوسط فى تصرف الاموال واجب واصلاحها لازم فان فى اصلاح الاموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض وفى خرابها ذل ومصيبة ورزية وفضيحة (قال على كرم الله وجهه) الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن أذاعه فضحه .

الموت خير للفتى ... من أن يعيش بغير مال
والموت خير للكريم ... من التضرع والسؤال

وبالجملة سوء التصرف فى الثروة يجلب الخراب والاقتصاد يجلب الرفاهية والسعادة

أنفق بمقدار مااستطعت ولا ... تسرف وعش عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا ... لم يفتقر بعدها الى أحد

﴿ فصل فى اكرام الضيف ﴾

اكرام الضيف من عادات الاشراف وشيم الاكابر

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له فى العالمين خليل

الضيف دليل الجنة وفى الخبر (لاتتكلفوا للضيف فتبغضوه ومن أبغض الضيف أبغضه الله) الضيف غريب والغريب واجب الاكرام

ونكرم ضيفنا مادام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

الضيف الاصيل لاينسى الجميل . ومن ذلك بعض من كان ضيفا عند أحد الكرماء حين ما سألوه عنه فقال تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله وجواهر العلم منتثرة من مسارب منطقه

له يد برعت جودا بنائلها ... ومنطق درة فى الطرس منتثر
فحاتم كامن فى بطن راحته ... وفى أناملها سحبان مستتر

ومن لايكرم ضيفه فيقال فيه كما قيل فلان اذا نظر الى الضيف ورآه يحسب ملك الموت اذا أتاه وقيل له لاتخف أنا ضيف الله

ربى وربك بعد الجوع أشبعنى ... ورزق ربك آت غير مدفوع
ولو عليك اتكالى فى الطعام اذا ... لكنت أول مدفون من الجوع

﴿ فصل فى الكرم ﴾

الكريم هو الموصوف بالكرم والكرم اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعانى السماحة والبذل فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر وشيمة تعزى الى مكارم الاخلاق وسجية تضاف الى محاسن الطبائع والاعراق. فهى واقعة على اسم الكرم فالكرم أبداً واقع على كل فعل من الافعال المرضية . لازم لكل حال من الاحوال الجليلة

السنية. وقد تقدم خلاصة ماذكر فى الجود ولكن أعدناه هنا اكراماً للكريم الكريم للقليل شاكر. واللئيم للكثير ناكر. الكريم يظلم من فوقه واللئيم يظلم من دونه .

ان الكريم اذا تمكن من أذى ... أنسته قدرته الحقوق فأقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى ... يطغى ولا يبقى لصلح موضعا

(ومن غرر بعض البلغاء فى وصف الكريم قوله)

لو أشبهتك بحار الارض فى كرم ... لأصبح الدرّ مطروحا على الطرق
لو أشبه الغيث جوداً منك منهملا ... لم ينج فى الارض مخلوق من الغرق

﴿ فصل فى الجهل ﴾

الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفس وخبث الطوية . فلا مصيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه لان الجاهل اذا تكلم فضحه عيبه . واذا سكت فضحه جهله . لاعلمُ نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه . ان قال لم يحسن وان قيل لم يفقه . ولذلك يقال ان أردت أن تقهر عالماً فأحضره جاهلا وكانت الملوك الفرس اذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل .

واذا بليت بجاهل متحكم ... يجد المحال من الامور صوابا
أوليته منى السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

فلا مصيبة أعظم من الجهل لان صاحبه يجنى عليه نفسه وليس شيء أحب اليه منها (وبالجملة) الجاهل ميت حقيقة وان كان حيا صورة فلا يحيا الا بمن يسقيه قطرة مما عنده من العلم الالهى .

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وان امرءا لم يحى بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

﴿ فصل فى البخل ﴾

البخل جامع المساوى والعيوب. وقاطع المودات من القلوب. ويهدم مبانى الشرف ويسوق النفس الي التلف .

وانى رأيت البخل يزرى بأهله ... فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

(علىّ كرم الله وجهه) البخيل يتعجل الفقر لنفسه ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء . وقالوا البخيل لامال له انما هو لماله . وقالوا فى حده هو منع المسترفد مع القدرة يحمد فى النساء ويذم فى الرجال وكفى بالبخيل معرة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره اليها ويحرمها مباح الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوى وان أجحفت به العلة. وأهمل دفع المكاره عن نفسه وقد نيطت به الذلة لكثرة الاشفاق على الانفاق فهو لايلقى فى الدنيا شكوراً ولا يلقى فى الآخرة جزاءاً موفوراً

يفنى البخيل بجمع المال مدته ... وللحوادث والايام مايدع
كدود القز ماتبنيه يهدمها ... وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

فالبخل من أقبح الأوصاف وأخبث العيوب وبمجرد ظهوره فى الانسان يقطع المودات من القلوب ولا دواء له الا السخاء والكرم

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فاننى ... أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

﴿ فصل فى الحرص ﴾

الحرص سالب الفضائل جامع الرذائل ولا يزيد صاحبه على رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط خالقه (بعض الحكماء) الحريص لايُفك أسره لانه ليس له غايه مقصودة يقف عندها ولا نهاية يصل اليها لانه اذا وصل بالحرص الى ماأمل اغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل وهكذا يسعى الى وصول أمله الىّ نهاية أجله ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم أن تمام السعادة وحسن التوفيق الرضا بالقضا والقناعة بالقسم قال النبى صلى الله عليه وسلم (اقصدوا فى الطلب فان مارزقتموه أشد طلبا لكم منكم وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم)

لوجاد سلطان القنوع وحكمه ... فى الخلق ما كان القليل قليلا
الرزق لا تكمد عليه فانه ... يأتى ولا تبعث اليه رسولا

﴿ فصل فى الطمع ﴾

الطمع رق مؤبد ووثاق ذل موطد قال النبي صلى الله عليه وسلم (خيار المؤمن القانع وشرارهم الطامع)

طمع الفتى ذل وعزة نفسه   عز وكم شره يجر الى شرك

الطمع من أقبح الخلائق وأذم العلائق لا يزال صاحبه أبداً مذموما وبأقبح الصفات موسوما . أما القناعة نعمت البضاعه مصدر الفوز والنجاح. ومن قنع بماله استراح وأراح

افادتنا القناعة كل عز   وهل عز أعز من القناعة

(قال ابراهيم بن حفصه لابنه)

هى القناعة فالزمها تكن ملكا   لو لم يكن لك الا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن

﴿ فصل فى الكذب ﴾

الكذب جماع النفاق . وعماد مساوى الأخلاق . عار لازم . وذل دائم يخيف صاحبه من نفسه . وهو آمن . ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال على كرم الله وجهه) الكذاب كالسراب (قال بزرجمهر) الكاذب والميت سواء لأن فضيلة الحى النطق فاذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته فالكذب شعار خلق وآداب سئ وعادة فاحشة ومن استرسل معه الفه ومن ألفه أذله ولذلك قالوا الخرس خير من الكذب لانه جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه التى تؤول الى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه وقالوا في حده هو اخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه . فالكاذب أبداً مهان بما جبل عليه

وذليل بما تمسك به .

لا يكذب المرء الا من مهانته   أو عادة السوء أو من قلة الادب

(ارسطاطاليس) فضل الناطق على الأخرس بالنطق . وزين النطق بالصدق فمن أراد السعادة فليعود لسانه على الصدق

عود لسانك قول الصدق تحظ به   ان اللسان لما عودت معتاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار) ويكفى فى معرة من عرف بالكذب قول من أنشد .

اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل   لدى الناس كذابا ولو كان صادقا

فان قال لم تصغ له جلساؤه   ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

﴿ فصل فى المزاح ﴾

المزاح يضع قدر الشريف . ويذهب بهاء الوجه ويحط من المروءة قال النبي صلى الله عليه وسلم (من مزح استخف به)

إياك إياك المزاح فانه   يطمع فيك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه   ويورث بعد العز صاحبه ذلا

المزح أوله فرح وآخره ترح . وقالوا من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته (مؤلف الكتاب) فمن لا غنى له ولا بد من المزاح فليقتصد فان الافراط فيه يذهب الهيبة ويجلب الخيبة .

امزح بمـدل للطلاقة واجتنب   مزحا يضاف به الى سوء الأدب
لاتغضبن أحـداً اذا مازحتـه   ان المزاح على مقدمـة الغضب
آخر ان المزاح بدؤه حلاوة   لكنما آخره عـداوه

﴿ فصل فى الغضب ﴾

الغضب عدو العقل فانه يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستولى عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو احتمال القبيح ألا وهو الغضب ومن عصى الحق غمره الباطل قالوا ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام ويقال ماترك شيئا من الأحوال الذميمة ولا تأخر عن سبب من الأسباب اللئيمة من أنفذ غضبه وأساء فى الانتقام أدبه واستطاب فعله واستعذبه . فينبغى لذى اللب السوى والحزم القوى أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها ويقابل دواعى شرته بحزمه فيردها ليحظى بأجل الخيرة ويسعد بحميد العاقبة (مؤلف الكتاب) لايعرف المرء بالحلم فى حال الرضا إنما يعرف فى حال الغضب

ليست الأحـلام فى حال الرضا   انما الاحـلام فى حال الغضب
آخر من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه   لايعرف الحلم الا ساعة الغضب

﴿ فصل فى الحسد ﴾

الحسد خلق ذميم وهو أصل كل عـداوة . ورأس كل بلية . وسبب كل ملامة . وجالب كل ندامة . وصف مذموم . وصاحبه من الانسانية محروم

وهو شجرة الفساد . ومجلبه السوء بين العباد . وتعريفه هو تمنى زوال النعمة المولى عن أحـد خلقه (بعض الحكماء) حاسـد النعمة لايرضيه الا زوالها ولا يشفيه الا انتقالها .

كل العداوة قد ترجى ازالتهـا   الا عداوة من عاداك من حسد

واعلم أن بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان كثر فضله كثر حسّاده . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود) قال (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) ما كانت نعمة الله على أحد الا وجد له حاسـداً

أن يحسـدونى فانى غـير لائمهم   قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فـدام لى ولهـم مابى ومابهم   ومات أكثرنا غيظا بمـا يجـد

ولذلك قالوا لايرضى عنك الحاسد حتى يموت . ويقال حاسـد النعمة لايرضيه الا زوالها (وقال محمود الوراق)

اعطيت كل الناس من نفسى الرضا   الا الحسود فانه أعيـانى
ما ان لى ذنبا اليـه علمتـه   الا تظاهر النعمـة الرحمن
وأبى فـما يرضيـه الا ذلتى   وذهاب أموالى وقطع لسانى

(بعض الحكماء) ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل الى المحسود لان الحسد يأكله كما تأكل النار الحطب

كفى الحسود عقابا عن جريرته   مافى جوارحه من جذوة الحسد

آخر اصبر على كيد الحسود فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

﴿ فصل فى العدل ﴾

العدل قوام الدنيا والدين . وسبب صلاح المخلوقين . وله وضعت الموازين وهو المرغوب المألوف . المؤمن منه كل مخوف . به تألفت القلوب . والتأمت الشعوب . وظهر الصلاح . واتصلت أسباب النجاح . وتوثقت به عرى اليمن والفلاح . وشمل التناصف والتواصل والتعاطف وهو ميزان الله فى أرضه الذى يوفى به الحقوق. وحقيقته وضع الامور فى مواضعها. لا توضع الشدة مكان اللين ولا بضد ذلك. فحق على من صار سيدا ورئيسا أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا . وللغيظ كاظما وللظلم هاضما . وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مظهرا وللحق فى السر والعلانية مؤثراً . واذا كان كذلك الزم النفوس طاعته والقلوب محبته . وأشرف بنور عدله أيامه وزاد أنصاره وأعوانه واضمحل أخصامه وأعدائه حيث تمسك باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فتم له صلاح الدين والدنيا

ذاك الذى حسنت فى الناس قالته وذاك يصلح للدنيا والدين
آخر ان السعيد الذى تمت سيادته فتى يضم من الدنيا الى الدين

﴿ فصل فى الظلم ﴾

الظلم أصل النقم . ومسلبه النعم . مبدل العمار بالبوار . والاحسان بالاحزان به تعم البلوى وتكثر الشكوى ويحصل الخراب وتعريفه هو وضع الشئ

فى غير موضعه شاعر وحق الله ان الظلم شؤم وان الظلم مرتعه وخيم
آخر ألم تعلم بأن الظلم عار جزاء الظلم عند الله نار

الظلم أسرع شئ الى تعجيل نقمة وتبديل نعمة فلا دواء له الا العدل

ظهور العدل يمحو كل ظلم اذا جاء الصباح مضى الظلام
آخر عن العدل لا تعدل وكن متيقظا وحكمك بين الناس فليك بالقسط
وبالرفق عاملهم واحسن اليهم ولا تبدلن وجه الرضا منك بالسخط

﴿ فصلى فى الهوى ﴾

الهوى عن الخير صاد . وللعقل مضاد . لانه ينتج من الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها . ويجعل ستر المروءة مهتوكا . ومدخل الشر مسلوكا (حسن البصرى) أفضل الجهاد جهاد الهوى (وقال بعض البلغاء) أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من رفض دنياه .

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى الى بعض مافيه عليك مقال

الهوى مطية الفتنة . والدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم وأعرض عن الدنيا تغنم . ولا يغرنك هواك بطلب الملاهى ولا تفتنك دنياك بحسن العوارى فعلى العاقل الحازم أن يأسر بسلطان عقله هواه ويصرف بكماله حياته فى دنياه قال النبى صلى الله عليه وسلم (طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء)

﴿ فصل فى العلم ﴾

العلم أنفس ذخيرة تقتنى . وأطيب ثمرة تجتنى . وهو أشرف مارغب

فيه الراغب . وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب . وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب لانه أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضع أبداً صاحبه ولا يفتقر كاسبه ولا يخيب طالبه . ولا ينحط مراتبه حامله عزيز من فوقه كلامه مقبول وأمره مسموع فهو وسيلة لكل فضيلة وذريعة لكل شريعة كنز يقتنى وثروة لاتنفد ولا تفنى (معاذ بن جبل) تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والوزير عند الخلاء والقريب بين الغرباء

أجل ماينتني دوما ويكتسب ويقتنى من حلى الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت لمن يزاوله بين الملا رتب
ان عاش عاش سعيدا سائدا أبدا لا يستضام ولا يسنى فيجتنب
وان يمت فثناء شائع حسن وبعده رحمة ترجى وترتقب

فالعلم من أجل نعمة . وأعظم منفعة . وهو الحكمة التي ورد فيها الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان الحكمة تزيد الشريف شرفا . وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك) العلم عز لا يبلى وكنز لا يفنى

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات الاعصر

(غيره)

عليك بالعلم لاتطلب له بدلا واعلم بانك فيه غير مغبون

العلم يجدي ويبقى للفتى أبدا والمال يفنى وان أجدى الى حين
هذاك عز وذا ذلّ لصاحبه مازال بالبعد بين العز والهون

(حاجة العلم الى الاخلاق الفاضلة)

الرجال بالاعمال . والاعمال آثار الصفات والاخلاق وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو اجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب . وذلك لان العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيما في قومه نافعا لامته ووطنه فان العلم آلة تديرها الاخلاق . فاذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّ به ولا ينفع . فالرجل لا يكون عظيما الا بعلومه الكاملة وأخلاقه وأعماله الفاضلة . ولا يتم ذلك الا بالتربية اذ من الثابت ان المرء اذا حسنت تربيته وتم تهذيبه كانت أعماله قويمة وأخلاقه مستقيمة واذا فسدت تربيته انعكست أعماله وساء خلقه . وسعادة مجموع الأمة متوقفة على تربية الافراد فاذا تهذب الافراد وتربوا على الفضائل وأخذوا باصول الدين تهذب المجموع وكانوا أعضاء جسم واحد . وخير التربية ما كان من حال الصغر اذ يكون الانسان مستعدا بالفطرة لقبول الخير وتقويم أود النفس كالغصن اللين في مبدأ نموه اذا قومته استقام لهذا كان من الواجب القيام بتربية الاطفال وتلقينهم دروس الآداب والحكمة منذ نعومة الاظفار .

﴿ النفقة على العلم والتربية ﴾

لا يخفى ان الغاية من تشييد المعاهد والمدارس هي نشر العلوم والمعارف

واخراج الناس من ظلمة الجهالة الى نور الهداية والعرفان وايجاد الملكات الصالحة فى الصغار وتنمية العواطف وتقويتها فيهم وتأهيلهم علما وعملا للجهاد فى هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربى فيهم الكمال الروحانى والتعبد الدينى والذوق السليم . وحب المعرفة وتمكنت فيهم ملكة البحث والاستدلال وقوى فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما أتوا من عظيم الافعال . فمن أخص واجبات معلميهم والحالة هذه أن يكونوا قدوة حسنة لهم وأن يقووا فيهم وهم فى بدأ نشأتهم حب العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة وأن يربوهم على احترام كل عظيم وحب الحق والعدل والعفة والصدق وكرم الخلق حتى يكونوا أغصان حية نافعة فى جسم المجتمع الذى يعيشون فيه فاذا علم ثمرة تشييد المدارس والمعاهد . نقول ماأجدر الاغنياء بانفاق أموالهم على معاهد العلم والتربية . وماأحق الموسرين — بعد أن يسدوا عوز الفقراء المدقعين ، أن يحيوا ملكاتهم العقلية والفكرية وأن يملئوا أدمغتهم من العلوم العصرية التى عليها مدار رقىّ الامم .

لايجهل من له أدنى مسكة من العقل انأهم أسباب ذلك الارتقاء هو انشاء المدارس وتشييد (الكليات) وذلك لايتأتى الا بالتعاون والتعاضد وبذل المتموّلين من الناس الدنانير في هذا السبيل سبيل العلم والتربية

ومن وقف على سيرة السلف الصالح يرى انهم مهدوا لنا تلك السبل قولا

وفعلا ، كما وجد فى هذا العصر كثيرون من أرباب هذه النهضة (١)

ولقد عثرنا على خطاب بليغ لاحد الاساتذة المشاهير . افتتح به افتتاح مدرسة أنشأتها احدى الجمعيات الخيرية ، قال ماملخصه :

« لانريد أن نخاطب الموسرين الذين أغويتهم شِرّة الغنى ، وأسكرتهم خمرة الشباب ، فقدموا باموالهم فى هوة الضياع ، وصرفوا الطارف والتليد ، فيما يضر وما يفيد ، فاؤلئك كالانعام بل هم أضل — وانما نقصد العقلاء من الاغنياء فنقول

(١) تلهج الجرائد الاوربية كثيرا فى أمر النفقات الطائلة التى يؤديها الاغنياء الاميركيون مساعدة لاندية العلم والمدارس الكلية والمكاتب العامة من ذلك ان كلية برلستون تلقت هبات كثيرة منها قطعة أرض مساحتها (١٤٠) هكتارا . وهبة أخرى ذات دخل سنوى يبلغ (٥٠٠) الف فرنك وخصت فى وصية بمبلغ قدره مليون ونصف من الفرنكات . ومن ذلك ان جامعة مدينة يال أهديت اليها أرض قيمتها مليونان ونصف من الفرنكات ووهبت كلية فرجينيا خمسة ملايين من الفرنكات منحتها اياها أميركيه وقالت فى هبتها انها تريد ان ينفق ثمنها على شراء كتب لتلك المدرسة فلا تعجب بعد هذا الارتقاء العلم عندهم . هذه هي الاعمال الخيرية الجارية عندهم مجري السيول قد كان يحاكيها من الشرق اشادة المدارس التى لم تزل رسومها شاخصة . وقد وقف لهما من الاماكن التى لو بقيت دارة ولم تتلاعب بها أيدى أعداء التقوى والعلم لاحيت ملايين وسمت بهم الى مكان مكين .

« اذا كنتم تقصدون لتوفروا من مالكم ماتتركون لاولادكم حتى لا يكونوا فقراء تعساء ، فقد سعيتم فى طريق محمود مهده الاسلام . ودعا اليه النبى عليه الصلاة والسلام . وان ماتصرفون فى سبيل العلم والتربية هو من هذا القبيل أيضا لانه توفير لسعادة الابناء . بل لاسعادة بالمال ان لم تصحبه تربية نافعة،وعلم صحيح يهتدى بهما المتموّل الى كيفية الانتفاع ، بل لايكون الانسان سعيدا الا اذا كان عائشا مع مهذبين سعداء . هب انك تركت لولدك ماينبغى من الثروة ، وهو فى موطن خيمت عليه الجهالة ، واستحوذت عليه الضلالة ، أتراه يعيش سعيداً بين الاشقياء ، ويحيى غنيا بين الفقراء ، ولا تمتد اليه يد الغواية ، وتغلب عليه طبائع السفهاء ، وتستهويه شياطين الاهواء . كلا ان المرء بقرينه ، ورجل الخير بين أبناء الشرور على خطر ، فمن أنفق من ماله على العلم والتربية فهو الذى يوطىء لذريته أكناف السعادة ويوطد لهم دعائم العيشة الراضية لانه يصلح لهم مباءة يعيشون فى ظلالها آمنين » اه

﴿ الباب السابع فى لطائف الشعر والشعراء ﴾

اللهم يالطيفا فوق اللطائف كلها الطف بحالى كما أحب ورضينى فى دنياى وآخرتى

(قال أبو محمد المطرانى أحسن ماقيل فى شعر النساء مع وصف عيونهن وحسن مشيهن)

غزال اعارتها المهى حسن مشيها   كما قد أعارتها العيون الجاذر

فمن حسن ذاك المشى جاءت فقبلت   مواطن من أقدامهن الضفائر

(علقمة بن عبده من أظرف شعره قوله)

فان تسألونى بالنساء فاننى   خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله   فليس له فى ودهن نصيب
يرون ثراء المال حيث علمنه   وشرخ الشباب عندهن عجيب

(طفيل الغندى من لطائف شعره قوله)

ان النساء كاشجار نبتن لنا   منها المرار وبعض المرّ مأكول
ان النساء متى ينهن عن خلق   فانه واجب لابد مفعول

(أبو عيينة المهلبي من غرر ماالقاه بحر شعره قوله)

جسمى معي غير ان الروح عندكم   فالروح فى غربة والجسم فى وطن
فليعجب الناس منى ان لى بدنا   لاروح فيه ولى روح بلا بدن

(الخباز البلدى من غرر أمثاله الثائرة قوله)

اذا اثنقلت أو أبغضت خلقاً   وسرّك بعده حتى التنادى
فشرده بقرض دريهمات   فان القرض داعية البعادى

(محمد بن بشير له قوله)

لاأحسب الشر جاراً لا يفارقنى   ولا أحزّ على ما فاتنى الودجا
ولا نزلت من المكروه منزلة   الا تيقنت أن ألقى لها فرجا

(أبو الفرج الببغا قوله فى الوداع لم يسمع أحسن منه)

سادتي هــذه نفسي تودّعكم   اذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع
قد كنت أطمع فى روح الحياة لكم   فالآن مـذ بنتم لم يبق لى طمع
لا عـذب الله نفسي بالبقاء فلا   أظنني بعـدكم بالعيش أنتفع

(أبو نصر بن نباتة السعدىّ قوله من قصيدة مرثية)

نعلل بالدواء اذا مرضـنا   وهل يشفى من الموت الدواء
ونختار الطبيب وهـل طبيب   يؤخر ما يقـدّمه القضاء
وما أنفاسـنا الا حساب   ولا حركـاتنا الا فنـاء

(أبو ابراهيم الشاشى من غرر شعره قوله فى الأخلاء)

أخلاى أمثال الكواكب كثرة   وما كل نجم لاح فى الجو ثاقب
بلى كلهم مثـل الزمان تلونا   اذا سرّ منهم جانب ساء جانب
وكنت أرى أن التجارب عـدة   فخانت ثقات الناس حتى التجارب

(أبو الفتح البستى الكاتب من ظرائف محاسنه قوله فى الخطابة)

لما أتانى كتاب منك مبتسم   عن كل برّ وفضل غـير محدود
حكت معانيه فى أثناء أسـطره   آثارك البيض فى أحوالى السود

(المتنبى أحسن ماقيل فى الخطابة قوله)

لما وضعت على عينى وقد رمدت   من البكاء كتابا منك أبرأها
وكانت النفس قد ماتت بغصتها   فخطّ كفك بعـدَ الله أحياها

(أبو الفتح كشاجم من عجائب أحاسنه قوله فى الشيب)

وفكرت فى شيب الفتى وشبابه   فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبنى شرخ الشباب فينقضى   وشيبى الى حين الممات مصاحب

(أبو نصر بن المرزبان من لطائف شعره فى الوعظ)

تجنب شرار الناس واصحب خيارهم   لتحذوهم فى خير أفعالهم حذوا
فان لأخـلاق الرجال وفعلهم   الى غـيرهم عدوى توافيهم عدوا

(الثعالبى قوله فى المدح لم يسمع ألطف منه)

يامن جميع الحسن بعض صفاته   وحـلاوة الدنيا تزاق بفيه
لا تمرضن جسمى فانك روحه   لا تحرقن قلبى فانك فيـه

(بعض الأدباء)

تعصى الاله وأنت تظهر حبـه   هـذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبـك صادقا لأطعتـه   ان المحب لمن أحب مطيع

(أبو الحسن التهامى أحسن ماقيل فى المرثية)

حكم المنية فى البرية جار   ما هـذه الدنيا بدار قرار
فالعيش نوم والمنية يقظة   والمرء بينهمـا خيال سار

(بعض الأدباء يخاطب أصدقائه بالاشتياق وبوصف غاية محبته لهم)

أنتم سرورى وأنتم مشتكى حزنى   وأنتم فى سواد الليـل سمارى
أنتم وان بعـدت عنا منازلكم   نوازل بين أسرارى وتذكارى
فان تكلمت لم ألفظ بغـيركم   وان سكت فأنتم عقد اضمارى

الله جاركم مما أحاذره   فيكم وحبى لكم من هجركم جارى

(أبو اسحاق الصابئى قوله فى الزفاف)

عرس تعرّس عنده الاقبال   وتنال من حسناته الآمال
بدر اليه تزف وسط نهاره   شمس عليها بهجة وجمال

(على ابن الرومى قوله فى التهنئة بالعيد)

قدم الفطر صاحبا مودوداً   ومضى الصوم صاحبا محمودا
ذهب الصوم وهو يحكيك نسكا   وأتى الفطر وهو يحكيك جوداً

(وله فى التهنئة بالولد)

بدر وشمس ولدا كوكبا   أقسمت بالله لقد أنجبا
ثلاثة تشرق أنوارها   لأبدلت من مشرق مغربا

(لبعض الأدباء قوله فى التهنئة بورود الكتابة مبشرا بالصحة)

ورد الكتاب بما أقر الاعينا   وشفى النفوس فنلنا غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم   قسما فكان أجلهم قسما أنا

(شهاب الدين الشهير بالشيخ المقتول من أسير شعره قوله فى الأشواق)

أبدا تحن اليكم الأرواح   ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم   والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمة للعاشقين تحملوا   ستر المحبة والهوى فضاح
بالسران باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح

وتمام هذه القصيدة مذكور فى ترجمة الشيخ المقتول فى صدر كتاب هياكل النور طبعه حضرة الوجيه الشيخ محى الدين افندى صبرى الكردى

(أبو نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى فى مدح العلامة الخيامي قوله)

ان كنت ترعين ياريح الصبا ذممى   فاقرى السلام على علامة الخيمى
بومى لديه تراب الارض خاضعة   خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه   ماء الحياة رفات الأعظم الرم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بما   تغنى براهينه عن أن يقال لم

وسبب هذا المدح مذكور فى كتاب (جامع البدائع) المشتمل على الرسائل الجليلة لابن سينا وعمر الخيام وغيرهما فى حكمة خلق الكون وتكليف الانسان بالشرائع والآن داب طبعه الشيخ محى الدين افندى المذكور وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع يجب على جميع أهل العلم والعرفان أن يقتنوه

﴿ الباب الثامن فى الحكايات والنوادر ﴾

نقلاً عن كتاب جوامع الآداب للشيخ جمال الدين القاسمى عليه الرحمة وهو موجود عندنا بخط المؤلف أهداه الينا هدية ونطبعه ان شاء الله تعالى حين سنوح الفرصة قال قص بعضهم ثلاث قصص نادرة فى الحب الصادق قال (فى القصة الاولى) تحت عنوان الشرف الاعظم

ان أخاك الحق من كان معك   ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك   شتت فيه شمله ليجمعك

قال هـذه حادثة يجب أن تكتب بماء الذهب فى سائر تواريخ العالم المتمدنة ليظهر بعض واجبات الاخ الى أخيه اذا ألمت به ملمة فى الثامن عشر شهر يناير سنة (١٨٩١) خرجت مفاخرة أخوان من القوة الى الفعل وتجلت محبتهم برداء الشجاعة والاقدام فى مدينة (شيكاغو) فتقدم منهم عدد كبير ليكونوا غرضا لمدية الجراح ليقطع جزأ من لحم ذراعهم فيلصقه على فخذ أحد اخوانهم وقاية لحياته وضمانا لراحته وذلك ان أحدهم اصيب بسرطان فى فخذه الايمن وامتد مقدار قدم وكان الجراح يعتنى بالمصاب فرأى ان خير الامور أن يجرد لحم الفاسد من مكانه ويضع مكانه لحما آخر يسهل التحامه بالفخذ فذبح الجراح لهـذه الغاية جديا كان فى دار المستشفى لتسلية المرضى وعالج المريض مدة عشرة أسابيع ولـكن لسوء الحظ لم يلتصق لحم الجدى بفخذ المصاب فاضطر الجرّاح أن ينزع لحم الجـدى ويجرب لحم الانسان ولكن من أين له بانسان يجود من لحمه بقطعة تلصق على فخذ انسان آخر ويتحمل عذاب القطع والسلخ والشقاء ـ وهل فى الكون من دافع يدفع قلب الانسان الى تضحية جسده مساعدة لغيره ـ ألا انها لم يعز وجودها بين أولئك الاصحاب المتآخـين اذا كان فى مشربهم من الدافع القوى ما يقضى على الصاحب أن يبذل كل مافى وسعه لينقذ أخاه ويساعده فى السراء والضراء فلما علموا ماحل بأخيهم ومايلزم لشفائه عقدوا جلسة وتداولوا فى شأن مساعدته فاكتتب منهم ثلاثمائة وقدموا أجسادهم لمدية الجراح ليقطع منها ما يشاء اكراما لاخيهم

المريض وطمعا فى شفائه ـ فضرب الجرّاح ميعاداً لذلك اليوم الثامن عشر من الشهر المتقدم وصباح ذلك اليوم المعهود ابتدأوا يتقاطرون حتى اكتمل عددهم فلما رأى الاطباء كثرتهم ارتأوا أن ينتخبوا (١٧٥) منهم ويذهبوا بهم الى المستشفى حيث كان المصاب فقسموا الى ثلاث فرق وتقدمت الفرقة الاولى الى المستشفى وفى مقدمتهم عدد من الاطباء حضروا لمساعدة الجراح فى عمليته الجراحية وكان الجراح قد سبق الجميع الى المستشفى فخدر المصاب بالمخدرات وغسل الجرح بالمحلولات اللازمة وجهز الادوية والرباطات ثم أفاق المصاب من غيبوبته ورأى بعينه اخوانه الذين قدموا ليشاطروه الألم ويعاونوه على الشفاء من مرضه فأمر الجراح بأن يبتدئ العملية والسلخ حالا حرصاً على فوات الوقت فتقدمت الفرقة الاولى فشمروا عن سواعدهم أما كيفية قطع اللحم وسلخه فـكانت هكذا يأتى الشخص كاشفاً ساعده الايسر فيفركه أحد الاطباء فركا شديداً ثم يغسل المحل المطلوب سلخه بالماء الحار والصابون ثم بالـكحول حتى ينظف الجلد جيداً ثم يتقدم طبيب آخر فيقطع المقدار المعين من الجلد ويسلمه على رأس سكينه الى الجراح وهذا يضعه على فخذ المريض وللحال يتقدم طبيب آخر ويرش على الذراع المسلوخة مسحوقا معداً من المخدرات لتخفيف الهيجان ثم يضع قطنا مبتلا بالمراهم والسوائل ويربط الذراع ربطا متقناً ثم يتقدم الثانى وهكذا الى آخر العملية وفى مدة ساعة ونصف انتهت الفرقة الاولى وتقدمت الفرقة الثانية فجرى برجالها ماجرى بالفرقة الاولى وكانوا

كلهم يتقدمون بجراءة عظيمة غير مبالين بالجرّاح الا اثنين من هذه الفرقة فانهما غطيا وجهيهما بمنديل عند مس ذراعيهما ثم حضرت الفرقة الثالثة ولم يقطع من لحم رجالها بقدر ماقطع من الفرقتين السابقتين لان الطبيب اكتفى بما قطع فبلغ عدد الذين سلخت سواعدهم مائة وستة وأربعين (١٤٦) ومعدل ماقطع من ذراع الواحد مقدار قيراط مربع وقد استقل أصدقاء العليل واخوانه هذا القدر لانهم كانوا مستعدين أن يقدموا ماينيف عن قدم وزيادة وكان بينهم من أتى من مسافة بعيدة ليقدم ذراعه ضحية لاخيه ولم تستمر هذه العملية اكثر من ثلاث ساعات ونصف أما العليل فكان ملقى على جانبه الايسر وكان كلما دخل عليه واحد منهم يتبسم تبسما ينوب عن الكلام فى اظهار شكره وامتنانه وكان اخوانه يشجعونه ويعزونه فى مصابه برقيق الكلام واشترك فى هذه العملية جميع اخوانه على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم فمنهم الشيخ الكبير والرجل الحازم والشاب النشيط الذى لم يخط عارضاه بعد وكان منهم أعمى واحد وغضب كثيرون من الذين رفض الاطباء قبولهم ولم يصلح صحيا والذين خاب أملهم حينما أعلن الجراح انه ليس فى حاجة بعد الى اللحم وهذه المحبة التى لاتوصف كانت سبباً لشفاء العليل وما برح يشكرهم الى آخر نفس من حياته . وقال فى قصة الثانية تحت عنوان (النخوة والشهامة والمروءة) مامثاله هذه نبذة تدل على شهامة اخوان لم يضنوا بالنفس والنفيس حبا بمساعدة اخوانهم ومحافظة على عهودهم التى تعاهدوها

فقد نشرت جريدة « البنوى اودفلو » فى عددها الخامس الصادر فى ١٥ مارس سنة (١٨٩٥) ماملخصه دعى أعضاء محافل وعائلاتهم الى احتفال فى « شبكاغو » ثم تلا الرئيس الاحتفال ملخص حادثة جرت فقال فى العاشر من شهر اكتوبر (ت ٢) سنة (١٨٩٤) بينما كان صديق غائباً عن منزله فى أشغاله وليس فى البيت سوى امرأته وولدهما الصغير وكان نائماً فى سريره قامت والدته لتفتح درجا وبيدها مصباح منار بزيت الكروسين فالتهب بالقضاء والقدر وسقط الزيت على الثياب فاشتعلت النيران بسرعة فذهبت الى الباب تستغيث بالجيران ففطنت الى ولدها فعادت ولفته بملاءة وحملته ولما وصلت الى الباب رأته مقفلا فلفت الولد جيداً وخرجت من احدى نوافذ البيت وكانت النار قد علقت بها ولم تشعر لعظم حرارة منزلها وشغفها بخلاص ولدها وأتت بسرعة ولم تصل الى بيوت الجيران الآ والنار قد شوهتها فألقت الولد أمامهم سالما . وكانت ذراعيها وأحد جانبيها محترق وكان لحمها يتساقط عند مسه فأطفأها الجيران ووقعت الى الارض من الالم ثم جيء بمركبة فنقلتها الى المستشفى وكانت ملفوفة بشال ولما نزع الشال صار المنظر محزنا لان يديها من روس الاصابع الى العنق والكتفين والجوانب الى الخصر ومن نصف الثدين الى الوراء منتهى قيراطين من العمود الفقرى فكانت كلها كتلة لحم محترقة تقع عند لمسها وسماكة الحرق فى بعض المواضع قيراطان وفى البعض الاخر لم يحترق سوى الجلد ثم وقعت الاظافر وأكثر المواضع التى حرقت صدئت فيها المواد . وشعرت . بعد دخولها

المستشفى بست ساعات بحمى رافقها ألم شديد . ونتج من ذلك تقرح فى المعدة والامعاء وأصيب باسهال حادّ .وآلام تفوق الوصف ولا سيما لما كانوا يغيرون لهاعن الحروق فانهم كانوا يمكثون ساعتين أو أكثر . وكانت تعانى كل أنواع الآلام عند نزع الانسجة عن لحمها ثم ان الطبيب ومساعديه رأوا أنه لابدّ من تعويض اللحم الساقط من جسمها بلحم حيّ وعمل عملية جراحية امل الله يمن بالشفاء فقدم زوجها نفسه لقطع ما يلزم من لحم جسده حبا بسلامة قرينته التى ضحت حياتها لأجل ولدها ولكن الاطباء رأوا أنه يلزم أكثر مما يمكنهم أن يأخذوا منه فتبرع بعض الممرضات بالمستشفى بأخذ قطع من لحمهن حباً أيضا بتلك المصابة . ولما بلغ اخوان زوجها واصدقاؤه ما كان حركتهم النخوة والشهامة الى مشاركة أخيهم وقرينته وقبل ابتداء العملية جاؤا أفواجا أفواجا . وهم ممتلئوا الجسم اصحاء البنية . واندفعوا بكل قواهم مظهرين عواطف الحب والولاء وعرضوا أنفسهم على الأطباء ليقطعوا من أجسادهم ماشاؤا ومن أى جهة أرادوا لانقاذ حياة امرأة أخيهم . ولما حضروا امام الجراح مدّ أولاً زوجها ذراعيه وقال للطبيب خذ منها ماتشاء . فقطع منها ثمانية قطع . طول كل قطعة قيراطان وعرضها ثلاثة ارباع القيراط وكان يقول خذ بعد ولم يبد أقل اشارة تدل على الالم بل كان مسرورا لانه استطاع ان يضحى حياته لسلامة امرأته . فأخذ الطبيب اللازم . ثم قطع من صديقه ثمانى قطع أيضا ومن غيره خمسا . وأتى بعدهم غيرهم يخبرون الاطباء بأخذ اللحم

من أجسادهم من أى جهة أرادوا فكان الاطباء يقطعون اللحم . وآخرون يخيطون مكان المجروح ويغسلونها بمزيلات الفساد وهلم جراً .وما زالوا حتى عوضوا من كل اللحم المحروق فكان من جملة ما أخذوه نحو سبعمائة وخمسين قيراطا مربعا وهى تساوى نحو خمسة أقدام . وكان جملة ما أخذ من كل رجل نحو قيراط أو أكثر . والذين أخذوا من لحمهم ثمانين رجلاً عدا امرأتين تبرعتا أيضا فكانت تعزيتها باظهار حنوّ اخوان زوجها وسرورهم وشجاعتهم وتشجيعهم اياها مما ساعدها كثيرا على احتمال تلك العملية الغريبة النادرة المثال ولحمها مكشوف للهواء ثم جمع منهم ستمائة ريال قدمت لزوجها المشترى أدوات للبيت بدلا من التى احترقت وتذكاراً لحب اخوانه له ولقرينة

هكذا هكذا والا فلالا * ليس كل الرجال يدعي رجالا

(وقال فى القصة الثالثة) تحت عنوان « المشاركة فى الحياة » ماصورته من أغرب مارواه التاريخ . ومن أعظم الحوادث تأثيرا الخبر الآتى فانه يدل على أن أخا ضحى حياته لمساعدة أخيه . ويشهد لأطباء الاميركان بطول الباع والمهارة فى صناعة الطب . مرض استاذ محفل فى « أوهايو » بسم الدم وكان محترما محبوبا فى تلك الولاية . وكان كريم الخلق سمح اليد يساعد المحتاجين .ولما أشرف على الخطر تواردت الأرامل والأيتام على منزله يسألون عن صحته ويقدمون ابتهالاتهم الى الله ليشفيه . وينذرون نذورا قدرطاقتهم اذا شفي وعقد عدد من نطس الاطباء جلسة وقرر أحدهم ان لاأمل بنجاة

الاستاذ الا بأمر واحد . وهو أمل ضعيف جدا والواسطة هي أنه لما كان دم المريض قد سمّ أكثره واستحال الى دم فاسد . فلا بد من تفريغه من عروقه واملائها بدم نقى من جسم صحيح . ثم قال الطبيب . ان فى العمل خطرًا جسيما جداولكنه الطريقةالوحيدة الممكن عملها . ولا شك أنه يصعب جدا ان لم نقل يستحيل — وجود من يسمح بجزء عظيم من دمه لمثل هـذه الغايه . وفى مساء اليوم عينه عقد المحفل جلسة خصوصية فنهض الرئيس فيها وأبان حالة أخيهم المريض . والواسـطة التى ارتأها الطبيب . وطلب منهم أن يتضرعوا الى الله أن يمن عليـه بالشفاء وكان أحـد أصحابهم واخوانهم حاضرا . وهو فى مقتبل العمر . قوىّ البنيه . مورّد الخدود . صحيح الجسم فى أشدّه. فوقف فى الوسط وقال. أيها الاخوانأننى أجود بما يلزممن دمى عن طيبة خاطرلانقاذ هذا الاستاذ. فاحدق الحاضرونوأخذوا يثنون على شجاعته وشهامته ورأوا فى قوة جسمه . وريعان صباه ما يؤيد قوله . ثم اجتمعت لجنة الأطباء لفحص هذا البطل فوجدوه صحيح الجسم نقى الدم . وحكموا أنه أهل للقيام بذلك . وعليه أخذ الاطباء فى اليوم التالي فىاجراء العملية بحضور جميع اخوان المريض . فبدأ الاطباء باخراج الدم من جسم المريض فى دقة وانتباهحتى أخرجوا منه القدر اللازم . ثم فتحوا عرقا فى ذراع ذلك البطل ووصلوا منه أنبوبا الى جسم المريض . فجعل الدم يتدفق من جسمالصحيح الى جسم المريض فيكسبه لونا جميلا وينعشه . ومازال البطل يجود بدمه

لاحياء أخيه وهو محاط باخوانه الذين يمدحون شجاعته ويثنون عليه الى أن اعتراه . دوار شـديد فنظر اليهم نظرة الوداع . وأشار اليهم بعينه يريد الـكلام . فلم يقو عليه ثم أغمض عينيه وأغمى عليـه وكان الاطباء ينتظرون ذلك فأوقفوا جريان الدم وانقسموا قسمين قسم اعتنى بالمريض وقسم بالبطل أما الاستاذ المريضفتحسنت حالتهحالا . وأخذ يتقدم الى الصحة بسرعة الى أن شفى تماما وعاد الىحالته الاولى ـ أما البطلفتأخرتصحته كثيرا واشرف على الموت وكان يقول لزائريه . لست متألمًا ولا متكدرًا . بل أنا مسرور لقيامي بهذا العمل . والشكر لله ان دمى أفادأخي فأحياه . وبعـد ان بذل الاطباء كل همة فى مداواته . أخذ يتعافى . وبدأت صحته بالتحسين وبعد ثلاثةأشهر من تاريخ تلك الحادثة المؤثرة قام من سريره وزار اخوانه . ولما سئل عن السبب فى اقدامه على هذا العمل قال لو مات الاستاذ لخسرالمحفل أما اذا مت فلا تكن الخسارة مذكورة . ثم انهالت عليـه الاكرامات والهدايا الثمينة

(أقول) هـذه القصص الثلاثة وان تكن غريبة في بابها . جـديرة بالاعتبار والتأسى بها فلقد دوّن التاريخ ما هوأعظم منها (فقد حكي الغزالىّ عليه الرحمة والرضوان) فى باب حقوق الاخوة والصحبة — من (الاحياء) ان أعلى مراتب المواساة أن تؤثر أخاك على نفسك . وتقـدم حاجته على حاجتك قال . وهـذه منتهى رتبة المتحابين . ومنتهى هـذه الرتبة الايثار

بالنفس أيضا كما روى انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء . فأمر بضرب رقابهم . وفيهم أبو الحسين النورى فبادر الى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له فى ذلك فقال . أحببت أن أوثر اخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة (وحكي عليه الرحمه) فى باب الايثار عن حذيفة قال . انطلقت يوم اليرموك من أيام فتوح الشام أطلب ابن عم لى . ومعى شئ من ماء لأسقيه ان كان به رمق وأمسح وجهه فلقيته . فلما أهويت لأسقيه سمع قائلا يقول آه . فأشار ابن عمى أن أنطلق بالماء اليه فجئته فسمع متأوها آخر فاشار الى أن أنطلق اليه . فجئته فاذا هو مات فرجعت اليه فاذا هو مات أيضاً فعدت الي ابن عمى فاذا هو قدمات رحمة الله عليهم أجمعين

وفى تاريخ (شذرات الذهب) ـ فى ترجمة الشيخ مبارك بن عبد الله الحبشي الدمشقى أحد الشيوخ الصوفية المتوفي سنة٩٤٣ انه حج ومعه مريدوه فلما دخلوا مكة فرغت نفقتهم . فقال لبعض أصحابه . خذ بيدى الى السوق واقبض ثمنى وأصرفه على بقية الجماعة . ففعل ذلك واشتراه بعض تجار العجم . ثم أعتقه اهـ

ثم رأيت قصة أخرى تشابه ماتقدم[١] ـ وهي ان امرأة مرضت واشتد بها الضعف . حتى يئس الأطباء من شفائها أو تسعف بدم جديد يقوم مقام

(١) نقلها المقتطف جزء (٤) مجلد (٣٩) صفحة (٣٩٦) تحت عنوان « الحب الصادق »

من الدم . وكان زوجها على تمام الصحة والنشاط فأوعز الى الاطباء أن يخرجوا الدم من عروقه ويدخلوه فى عروقها لتقوى وتشفى اذ لم يكن لشفائها سبيل آخر ففحصوا دمه ووجدوه سليما وفحصوا قلبه فوجدوه قويا فأجلسوه الى جانب زوجته وأوصلوا بين عرق من عروقه وعرق من عروقها على غير رضاها فجعل دمه يجرى من جسمه الى جسمها . وللحال زال الاصفرار من وجنتيهما وقوى نبضها بعد ان كان ضعيفا لا يشعر به وحاول الاطباء حينئذ أن يقطعوا الاتصال بينها وبين زوجها فمنعهم من ذلك وقال بل دعوها تأخذ من دمى كل مايحتاج اليه جسمها . ولما قطعوا الاتصال كانت وجنتا المرأة قد توردتا وأما زوجها فكان قد اصفر واغمى عليه ولم يسترد قوته ونشاطه الا بعد أيام[١]

(١) قال الراوي الحادثة صحيحة والرجل من أعضاء مجلس الاعيان الامركي . وهو شاب فى مقتبل العمر وقد ترطبت الالسن بذكر شهامته والاطناب بمحبته وتضحيته نفسه لاجلها . ولكن كل زوجة فى الدنيا تعرض نفسها مراراً كثيرة فى حياتها لاجل زوجها لكى تلد له الاولاد وكل زوج وكل زوجة يسفكان دمهما مرارا كثيرة لاجل أولادها يسهران الليالى ويتجشمان المشاق ويحرمان أنفسهما كل راحة وكل مسرة لاجل أولادهما يشتغلان ويكتسبان ليطعماهم ويربياهم ويعلماهم ويتركالهم ما يستعينون به على شؤنهم مافعله ذلك الزوج هو ما يفعله كل زوج وكل زوجة كل يوم لا باخراج رطل من الدم بل يبذل دم القلب وعرق الجبين وقوى العقل لاجل حفظ النسل فجزى الله الوالدين كل خير

﴿ الباب التاسع ﴾

(فى شذرة من علم القيافة على رأى السلف من العلماء والحكماء)

اعلم انه لما كان علم القيافة فنا غريباً عزيز الوجود اقترح علىّ بعض الأحباء الأعزاء أن أورد فى كتابى هذا طرفا لطيفاً منه فلم أر بأساً فى ذلك لذا أتيت بنبذة وجيزة جعلتهادرة لتاج هذا الكتاب. الجامع لأشتات الحكم والآداب . وها أنا أخوض فى عباب هذا المقصد ذاكراً جميع أعضاء الجسد عضواً عضواً على سبيل الايجاز واللطافة حتى يعرف الناظرون جيّدها من رديئها . ولنبدأ بعضو الرأس لأنه أصدق الاعضاء دلالة على أمور جمّة ولكونه كالاساس لهذا الفن فنقول (الرأس) أحسنها المعتدل أعنى مالا يكون مفرط الكبر والضخامة ولا مفرط الصغر وقد أجمع أهل هذا العلم على أن عِظم الهامة المتناسب مع بنية الشخص دليل الشجاعة وعلَم البسالة وان النتو (العلو والبروز) فى المقدم أو المؤخر أو الوسط علامة العقل وعللوا ذلك بأن هذه المواضع محال المدارك والمشاعر قالوا وما كان منها مسفطا كشكل الكرسى فهو مظنة الخبث وما كان كبير الحجم شبيهاً برأس الحمار فهو مشعر بالبلادة وسوء الفكر واضطراب العزيمة والرأى (القامة) الاحد وداب (التقويس) خيانة فى النية والطباع (القصر) فطنة وشرارة وكلما اشتد كان أدل على ذلك وأقرب الى هذه المسالك (الطول) حمق وسلامة صدر من اللؤم والمكر ويختص هذه الامة بأن أوسط القامة من أبنائها يجتاز بالعلم والحكمة . وأقصرهم

متميز بالمكر . وأطولهم مختص بالهيبة والشجاعة (العين) أفضل العيون عين نقية فى بياضها وسوادها لوزية الشكل ذات بريق وتلألؤ . رطبة مع قوّة . وما كانت متوسطة الحجم شهلاء أومائلة الى الشهولة فهى مقبولة . والاعين التى ترى ضاحكة غير عابسة بسيطة التحديق والملاحظة . فهى علائم الفرح والملق وطول العمر وحسن الخلق . أما العيون الخفيفة الحركة فى جفونها وحدقها كثيرة الاضطراب والجولان والتردد الضيقة الضاربة الى المشابهة بعيون القرود فهى دلائل المكر والدهاء وخبث الطوية وسوء الفكرة . وما كان من عين شديدة السعة زائدة الكبر فصاحبها ذوكسل وبلادة . وكذلك العين الغوراء القليلة الحركة الكثيرة الإطباق . قالوا وشر العيون الخفشاء الزرقاء اللون أوالخضراء (الحاجب) يدل على سوء الفهم والحماقة أمور فيه منها الطول والعرض . وكثرة شعره . ومنها اتصال الحاجبين . وبضدها تتميز الاشياء فضد هذه الامور دال على ضد هذا المدلول . وما كان من حاجب جامع بين القصر والعرض فصاحبه من الاشرار ـ والحاجب المعتلى على الجفن المحدق به كالقوس آية الشجاعة وجودة القريحة (الجبين) البارز المعتدل منه علم العقل * وملاسته بلاهة مبعدة عن النباهة وكذلك كبره وعرضه وصغره فى تدوير يشعر بالجهالة (الانف) الفطس وسعة المنخر كما فى أنف الزنوج جهل وغضب وقسوة وقلة أدب * واستواؤه ورقة أرنبته وارتفاعه دلائل على جودة العقل والطبع * وغلظه فى اعوجاج من سوء فى المزاج * واجتماع الشحم فوق

أرنبته مع انتفاخ قصبته رداءة * وتقوسه كنصف الدائرة معرف بالحسد فى صاحبه (الاذن) كبر مقدارها علَم على الجهل لمشابهتها فى ذلك بأذن البهيمة لـكنها من جهة أخرى تدل على طول العمر والعكس على العكس أى قصرها يدل على قصر العمر * واستدارتهـا فى رقة وقربها من الخلف امارة الذكاء والرقة وحسن الخلق (الفم) اتساعه مع رقة الشفتين صفة حميدة وغؤوره وشدة بروزه وصفان ذميمان (الاسنان) الفلج فيها جودة فى الاخـلاق وعظمها فى قوة منار طول العمر (الشفتان) رقتهما مع صغر الفم حَسَن دال على حسن عقـل وطبع * وغلظهما كغلاظ شفاة الزنوج مشعر بالحمق * واذا تدلت الشفة السفلى برهنت على رداءة العقل * وتقدم الشفة العليا على السفلى ممـدوح والعكس مذموم (اللحية) كبرها معيار البلادة والغباوة والـكوسج كيس فطن (الشعر) جيّده الأوسط فى المقدار الذى هو بين الخشونة والجعودة فان هذا برهان الذكاء وجودة التدبير * وشخوصه وقيامه دليل على ضد ذلك المـدلول لشبهه بشعر البهيمة * وسواده ميزان منفعة صاحبـه * واحمراره في نارية قسطاس القسوة بشهادة الخبر (لاخير فى أشقر من بعد عمر) لكن ذم الشـقرة مشروطة بشدتها وأن يكون المرء أشقر الحاجب وأزرق المقلة وقد تدل الشقرة على الجسارة وكبر الهمة والحرية (الوجه) العرض المفرط فيـه مشير الى الغباوة والبله * واستدارته مؤذن بالحمـاسة مع قلة الـكياسة وتـكاثف شحمها معلم بالحماقة * واعتداله برهان النجابة * وبروز عظامه من

يبوسـته حاكم بالخباثة (العنق) سمنه فى قصر بشير بالشجاعة وعكسها نذير بالجبانة (الصدر) سـعته دلالة على جلالة الروح وطول العمر وجودة القريحة وحسن الشيمة * وضيقه شعيرة أضداد هذه الاوصاف (الكتف) اكتساؤه باللحم امارة قوة الجسم وصحة المزاج والشجاعة وقوة النفس — و بعد مابين المنكبين شاهد بصحة التركيب وجودة الفهم وقوة القلب (العضد) الآخذ منه صورة المخروط عريض البطن حميد . وقصره منذر بقلة البركة . وتعرى بطنـه عن الشعر معرّف بالفهم وصواب الفكر (الاصابع) طولها مع اللين وانتظام الوضع منبئ بصحة الكبد وجودة العقل والطبع (الاظفار) صلابتها تحكي عن القوة (الشامة) عظم الشامه فوق الخـد مرآة الشؤم والنحاسـة وكذلك كثرة الشامات فوق الخدود ـ وركوبها ارنبة الانف دليل على أن المرء لا يعيش نسله ـ وركوبها الكتف مع اقترابها من الوجه محمود دال على سعود الحظ ـ وركوبها الـكتف اليمين مع كونها مُشعَرَة يدل على أن صاحبها يكون واليا . والتى بين الكتفين بشارة بالملك . والتى فى سلسلة الظهر منبئة بكثرة المـال . واذا كانت فوق الزند دلت على كثرة السفر المدرّ للرزق واذا كانت فوق الاصبع أو الكف شهدت بنحوسة الحظ . واذا كانت فوق الثدي دلت على ود صاحبها وصـدق صداقته . واذا وجـدت على الصدر أبانت عن الاستبداد واذا وجدت فوق السرة اعربت عن الافراط فى الباه واذا كانت فوق منبت العانة بشرت بكثرة الذكور فى نسـل المرء والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين

﴿ فهرست كتاب لطائف المعارف ﴾